الفهرس

ثمن العدد ٢ قرشان صاغاً

الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب الامتياز
الدكتور أحمد أمين بك

رئيس التحرير المسئول
محمد عبد الواحد خلاف بك

الإدارة
٩ شارع السكردانى ، عابدين ، القاهرة ، تليفون ٤٢٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

العدد ٥٨٤ — الاثنين ١٧ من جمادى الأولى سنة ١٣٦٩ — ٦ من مارس سنة ١٩٥٠ — السنة الثانية عشرة

الأسس القوميـــــة

للدول الأسيوية الجديدة

للأستاذ على رفاعة الأنصارى

رأينا في بحر الثلاث السنوات الماضية ظاهرة جديدة في التاريخ الأسيوي ، هي نشأة عدة قوميات جديدة كالهند والباكستان وإسرائيل وأندونيسيا ، كما أخذت بعض قوميات أخرى نموها واستكملت استقلالها ، مثل سوريا ولبنان وبورما . ويحق لنا أن نقف قليلاً بهذه المناسبة لنرى الأسس التي قامت عليها هذه القوميات الجديدة بعد الحرب العالمية الثانية .

يعد القرن التاسع عشر بحق عصر انتشار الروح القومية في العالم الغربي ؛ فقد نمت إبانه روح الوطنية والاستقلال عقب الحروب النابوليونية ابتداء من عام ١٨١٥ واستمرت طواله حتى انتصرت نهائياً في أعقاب الحرب العظمى الأولى في عام ١٩١٩ ، فشاهد القرن التاسع عشر استقلال بلجيكا واليونان ودول البلقان ودول أمريكا اللاتينية واتحاد ألمانيا ووحدة إيطاليا ، ثم تمزقت إمبراطورية النمسا والمجر ، ونشأت على أنقاضها دول أوربا الوسطى . كانت الروح القومية في تلك الأيام هي القوة الدافعة والمسئول الأول عن أحداث التاريخ الغربي ، فما أكبر الأثر في حياة الغربيين ، بل واحتلت المكانة التي كانت للدين من قبل في تسيير أحداث التاريخ ، وسيطرت على عقول رجال السياسة والفكر والأدب والاقتصاد ، وكانت المنبع الذي فاضت منه الثورات في معظمها حتى أصبحت حركة شاملة أشبه بالحركات التاريخية الكبرى التي مر بها العالم ، من أمثال حركة انتشار الإسلام أو حركة الإصلاح الديني ، وارتبطت بظاهرات سياسية أخرى كانتشار الديمقراطية ضد الاستبداد ومكافحة الحكم الأوتوقراطي أياً كان مظهره ، كما اقترنت بنمو الأفكار الاشتراكية والتوسع الاستعماري .

ثم انتقلت الروح القومية في مطلع هذا القرن إلى بلاد آسيا وأفريقيا ، وآسيا وحدها كما نعلم تضم نحو نصف سكان العالم ، وقد جرت فيهم الروح القومية مجرى العقيدة في نفوس أهلها ، واتخذ سكان الدول الجديدة فكرتها على أنها فلسفتهم في الحياة وفيها العلاج لجميع مشاكلهم .

ويجدر بنا في هذا المقام أن نتتبع تطور معنى كلمة « أمة » في التاريخ الأوربي الحديث ؛ فمنذ مائتي عام كتب الفيلسوف الإنجليزي هيوم بحثاً عن الطابع « القومي » أو الوطني ، ولخص فكرته في أنه لن يتيسر لجماعة من الناس أن تجد لذة مشتركة في مناقشاتها وأحاديثها ، ما لم يبد أفرادها تشابه

في الأخلاق والعادات وما لم تتفق فيهم معايير الفضيلة والرذيلة ، وما لم تتوحد عندهم القيم الحيوية الأخرى ، وما لم تضمهم تحت لوائها حكومة واحدة حتى تهيئ لهم فرصة الاشتراك في الدفاع عن الوطن والاشتراك في نعمه وتحمل أرزائه . هذه العوامل مجتمعة تهيئ لأفراد الجماعة جواً مشتركاً يعيشون فيه، وقد تضاف إليها وحدة اللغة فتتشكل طرق الحياة عندهم لتشابهها وتجعل لهم طابعاً قومياً واحداً .

ولعل الفضل في تحديد معنى القومية في التاريخ الحديث يرجع إلى جان جاك روسو الذي رفض فكرة ذوبان الأمة في صاحب السلطان ، وفرق بين الشعب والطبقة الحاكمة ، ثم أخذت فكرته تجد طريقها نحو التعبير الصحيح عند قادة الثورة الفرنسية ؛ فقد أكد الكتاب الذين مهدوا للثورة الفرنسية طريقها ، حق الإنسان في اختيار نوع الحكومة التي يود أن يعيش في ظلالها ونوع الوحدة السياسية التي يرغب في الانتماء إليها ، وهكذا كان القرن التاسع عشر هو قرن القوميات في أوربا ، حيث شعرت بقومياتها الجماعات المغلوبة على أمرها ، فاتجهت لترجم هذا الشعور فتحيله حقيقة سياسية واقعة .

وأول الحقوق التي اعترف بها المفكرون القوميون هو حق الأمة في لغتها الوطنية باعتبار أن اللغة هي أقوى الروابط بين المواطنين ، كما أكدوا حق الأمة في فرض قوانينها الخاصة وحقها في حياتها الفكرية الخاصة وحقها في اتباع سياسة تجارية خاصة ؛ ويتوج هذه الحقوق جميعاً حق الشعب في الدفاع عن مثله ضد كل استبداد أو تعسف يراد بها .

وعلى مر الزمن لم تعد الفكرة القومية محدودة بأوربا ، بل أضحت إعصاراً هائجاً يجتاح العالم كله .

قيل مثلاً إن وحدة السلالة هي الأساس الذي تقوم عليه القومية ، غير أن الرأي منعقد عند علماء الأجناس البشرية على أنه قل أن يوجد في العالم الآن جنس نقي خالص ، وأن نقاوة الجنس هي أبعد ما تكون عن الواقع البشري ، وأن كل الأمم على سطح الكرة الآن هي مزيج من أجناس مختلفة ؛ وكثيراً ما لجأت العناصر الوطنية في كفاحها إلى ادعاء تسلسلها من سلالة نقية من الدم البشري ، وأنها تختلف عن غيرها اختلافاً أساسياً في تكوينها الجسماني والعقلي والروحاني ، ولا تخفى الدوافع النفسية وغير النفسية التي تحفز إلى ادعاء مثل هذه النظريات ؛ وأوضح الأدلة على عدم صحة هذا القول أن القوميتين الجبارتين اللتين بيديهما الآن مستقبل الحضارة العالمية أي الولايات المتحدة وروسيا السوفيتية — كلتاهما ليست شعباً واحداً ، بل هما بوتقتان انصهرت فيهما السلالات المختلفة ، وأن كلاً من الأمتين ليست وحدة جنسية بقدر ما يربط أفرادها أسلوب فكري واحد ونظرة متفقة إلى الحياة ؛ فهناك إذاً فارق ثابت بين السلالة والأمة ، فالسلالة هي مجموعة من الصفات الجسمانية المشتركة ، أما الأمة فهي حالة عقلية مشتركة .

هل تقوم الروح القومية إذاً على وحدة اللغة ؟ مما لا شك فيه أن الناس الذين يتكلمون لغة واحدة يشعرون بالقرابة والألفة ، وربما كانت اللغة المشتركة أحد العوامل أثراً في تكوين القومية ، وكثيراً ما اتخذت اللغة الوطنية رمزاً للاستقلال ، وكثيراً ما تفرض اللغة في الدول الحديثة فرضاً على جميع الأقليات فيها ، وكثيراً ما تحاول دولة بضم الجماعات التي تتكلم لغتها للدخول في نطاق حدودها ، ولكننا إذا علمنا أن أهل سويسرة يتكلمون ثلاث لغات مختلفة وأنهم لا يرضون عن قوميتهم بديلاً ، وأن هذه الحقيقة لم تضعف شعورهم القومي ، ولم تعمل على تفتيت وحدتهم ، أدركنا أن اختلاف اللغة قد لا يقف حجر عثرة في سبيل تكوين قومية واحدة .

وقد صاحب نمو القوميات في آسيا شعور عميق بأهمية اللغة الوطنية، خصوصاً وأن الكفاح كان موجهاً ضد الاستعمار الأوربي ، واللغة الرسمية في معظم الأحوال هي إحدى اللغات الأوربية ؛ غير أن بعض الدول الناشئة واجهت صعوبة الاختيار في أول الأمر ، فحارت بين لغاتها الوطنية المتعددة ولهجاتها المختلفة — كما هو الحال في الهند مثلاً ، حتى إن نهرو نفسه اعتذر في إحدى المناسبات عن اضطراره إلى التحدث باللغة الإنجليزية لأنه وجدها أسهل من اللغات الهندية فهماً عند جميع الهنود ؛ ومن المصاعب التي ووجهت عند تقسيم البنغال بين الهند والباكستان لينضم الهندوس إلى

الهند والمسلمون إلى الباكستان ، أن القاطنة كلها وحدة قومية واحدة .

وللصين ميزة الكتابة الموحدة على الرغم من أن الصينيين يتكلمون لغات مختلفة . وقد بذلت محاولات جبارة في العصور الحديثة لنشر لغة صينية واحدة هي لغة أهل بكين ، حتى إن الدكتور صن يات صن باعث الجمهورية الصينية خلط في أفكاره عن القومية الصينية بين وحدة الجنس ووحدة اللغة ووحدة الدين . فإن الذين يتكلمون لغة واحدة يكونون أمة واحدة وإن الذين يعبدون معبوداً واحداً يكونون جنساً واحداً ، بل كان يقول لو أن الأجناس الأجنبية تعلمت اللغة الصينية لتمثلهم البلاد ولتضمهم المجتمع الصيني .

ثم يأتي الدين في المرتبة الثالثة بعد الجنس واللغة في تكوين الأمة ، فإن اتفاق الديانة هو عنصر هام من عناصر القومية على الرغم من أن الاتجاه الحديث ينذر بضعف أثر الدين في تكوين القوميات ؛ غير أننا نرى في هذه الأيام مولد دولة الباكستان وبعث دولة إسرائيل معتمدتين على الأساس الديني أكثر من اعتمادها على أي أساس آخر . كذلك الأمر في اليابان ، فإن الديانة الشنتوية هي نوع من الوطنية [illegible] أدى إلى تأليه الإمبراطور وتقديسه ، ومن ثم أتت الأساطير التي تؤكد بأن الإمبراطور هو سليل إلهة الشمس ، وهكذا اختلط الدين بالسياسة لتحقيق غاية قومية ، واقترن بهذا نمو النزعة العسكرية للشعب الياباني وتمجيد الرسالة المقدسة التي تؤديها اليابان .

وأخيراً يلي هذه العناصر الثلاثة السابقة وهي الجنس واللغة والدين ، عنصر رابع لا يقل عنها أهمية ، وهو رقعة الوطن وضرورة امتلاك الشعب رقعة من الأرض ، وكانت هذه الحقيقة موضع جدل في بعض الأحايين ، وكان المجادلون يستشهدون بمثل اليهود والغجر في العالم وكيف أن الشعبين احتفظا بقوميتهما على الرغم من تشريدهما في بقاع العالم طراً .

ولا ننسى بهذه المناسبة أن الجاليات الأسيوية في الخارج لعبت دوراً هاماً في تطور الحركات القومية ، فقد ساعدت الجاليات الصينية بأموالها وجهودها في الثورة الصينية عام ١٩١١ ، كما ساعدت الجاليات الهندية المقيمة في بريطانيا والولايات المتحدة وجنوب إفريقيا الحركة الوطنية في الهند ، بل إن حركة العصيان المدني بدأت بين الهنود في جنوب إفريقيا ، وكانت الدرس الذي لقنه غاندي لمواطنيه في مقاومة الاستعمار والاستبداد .

كما أن الحركة القومية في الدول الأسيوية تدور حول شخصيات خاصة . وقد يكون بين هذه الشخصيات إمبراطور كما هو في اليابان ، أو زعيم مثل نهرو في الهند أو محمد علي جناح « القائد الأعظم » في الباكستان ؛ ولما كانت الحركات القومية في آسيا قد وجهت ضد الاستعمار الأوربي فقد اقترنت بشعور من الكراهية ضد الحكام الوطنيين الذين ربطوا مصيرهم بعجلة الاستعمار الأوربي ، وازداد الحب والاحترام حتى بلغ درجة العبادة للزعماء الوطنيين من أمثال صن يات صن في الصين أو غاندي في الهند أو جناح في الباكستان الذين لقبوا بالمنقذ أو ملك الملوك . ويلاحظ أن الولاء السياسي قد وجه نحو الأشخاص أكثر منه نحو البرامج السياسية ، لأن الولاء للأفراد أو للأسرة عميق الجذور في التقاليد الشرقية .

كما ترتبط الحياة القومية لشعب ما بضرورة توافر ميراث ثقافي مشترك ، وهو في نظر بعض الثقات العنصر الأساسي الأول في تطور الوطنية ؛ غير أن هذا العامل على الرغم من أهميته المعترف بها لا يمكن أن يوجد مستقلا عن باقي العناصر السابقة ، وفي معظم الأحيان تبدأ النهضة الوطنية على أنها حركة ثقافية صرفة ، وهي ظاهرة عامة في جميع القوميات الأسيوية ، إذ ينصرف الأدباء والفنانون نحو الأساطير الشعبية والفن الشعبي ووضع الكتب المدرسية وتأليف كتب النحو ، بل إنهم لا ينفكون يؤكدون في كل آونة وجود ثقافة وطنية خالصة ، ومن ثم يصبح الدور الذي يلعبه زعماء الفكر الوطنيون دوراً رئيسياً في الحركات القومية .

ولا يمكن الجزم على أية حال بأن أي هذه العوامل مسئول عن نشأة القوميات في آسيا ، فقد يكون واحداً منها

(البقية على صفحة ١٠)

الطرطوشى وكتاب «سراج الملوك»

للأستاذ على أدهم

كان اليونانيون القدامى ينظرون فى تفكيرهم الفلسفى إلى السياسة والأخلاق من حيث هما شىء واحد ؛ فمشكلة البحث عن طبيعة الحياة الصالحة للفرد ومشكلة معرفة المبادئ المسيطرة على اجتماع الأفراد فى المجتمع أو التى يجب أن تسيطر على اجتماعهم كانتا عند اليونانيين وجهين لمسألة واحدة ، وكانوا يرون أنك لا تستطيع أن توفق فى علاج إحدى هاتين المشكلتين دون أن تبحث المشكلة الأخرى وتهتدى إلى موقف خاص حيالها ؛ فليس فى وسع إنسان أن يقرر ما هو أحسن نظام المجتمع دون أن يفكر فى حياة الأفراد وسبل إسعادهم ، وآراء أفلاطون فى هذه الناحية تطابق آراء أرسطو .

وجرى التفكير الاجتماعى والفلسفى على هذا النحو حيناً طويلاً من الدهر ، ولكن فى عهد إحياء العلوم حدث صدع فرق بين الاثنين ، فانفصلت السياسة عن الأخلاق ، وانفصلت الأخلاق عن السياسة ، ويعلل ذلك الفيلسوف المعاصر جود فى كتابه عن فلسفة الأخلاق والسياسة بأن التفكير الرومانى قد حافظ على هذه الوحدة ، ولكن المسيحية كانت ترمى إلى جعل أساس الحياة الإنسانية فى العالم الآخر لا فى هذا العالم ؛ « فمدينة الله » هى المقر الروحى للإنسان لا « مدينة الدولة » ، ومن ثم عملت من بادئ الأمر على إيجاد هذا التمييز ، وبتأثير البروتستانتية أصبح هذا التمييز نوعاً من التفريق بينهما ، ومن ثم نرى التباعد بين موضوع السياسة وموضوع الأخلاق منذ عهد الإصلاح ؛ فالأخلاق تتناول معنى كلمتى الخير والشر ومعيار العمل الصالح وطبيعة الالتزام الأدبى ومصدره ومعنى الحق والباطل وأمثال هذه المسائل ، والسياسة اكتفت بتناول البحث عن أصل المجتمع ، وما هى الحاجات البشرية التى دفعت إليه ؟ وما هى المبادئ المسيطرة عليه ؟ وعملت على البحث فى ضوء هذه المبادئ عن أحسن أنواع الاجتماع الإنسانى ، وهل هو حكومة الفرد الأوتقراطية ، أو حكومة الأقلية الارستقراطية ، أو الحكومة الديمقراطية القائمة على التمثيل الانتخابى ؟ فإذا كانت حكومة الأقلية هى خير أنواع الحكم ، فما هى المؤهلات التى يجب أن تتوفر فى الصفوة المختارة التى تنهض بأعباء الحكم ؟ وإذا كانت حكومة الأكثرية ، فما هى الوسائل الكفيلة بصحة الاختيار وصدق التمثيل ؟ وما هى الضمانات التى تجعل النواب لا يسيئون استعمال سلطتهم ؟ وما هى حقوق الفرد فى علاقته بالدولة ؟ وما هى حدود سلطان الدولة على الفرد ؟ وقد كانت هذه المسائل وأشباهها تبحث بحثاً سياسياً خالصاً إلى حد كبير لا أثر فيه للبحوث الأخلاقية ، ويتمثل ذلك فى كتابات الفلاسفة السياسيين أمثال هوبز ولوك وروسو وهيجل وماركس ولينين ، فتفكيرهم السياسى يكاد يكون مستقلاً عن تفكيرهم الأخلاقى .

ولكن منذ أوائل القرن العشرين طرأ تغير هام على ذلك ، وبدأ التفكير السياسى والتفكير الأخلاقى يتقاربان ويتلاقيان ، وطويت مسافة الخلف بينهما ، والفكرة السائدة فى العصر الحاضر أن الحياة الصالحة للفرد لا يمكن أن تتوفر أسبابها إلا فى المجتمع الصالح ، فصلاح الفرد وسعادته متوقفة على حالة المجتمع ، وحالة المجتمع قائمة على حالة أفراده ، وبذلك تتلاقى السياسة والأخلاق . ومن عيوب النظم الفاشية أنها ترجح جانب الدولة ومصلحتها على جانب الفرد ومصلحته . ومن مزايا النظم الديمقراطية الصحيحة أنها توازن بين مصلحة الدولة ومصلحة الفرد ، ولكن معظم النظم السياسية الحديثة بوجه عام تجهد فى التوفيق بين السياسة والأخلاق .

ومعظم المفكرين السياسيين فى الإسلام لم يروا هذا التفريق بين السياسة والأخلاق الذى ساد إلى حد كبير

التفكير العربي منذ عهد إحياء العلوم إلى أوائل هذا القرن ، ونرى ذلك واضحاً في تفكير رجل مثل ابن خلدون أو ابن الطقطقي صاحب كتاب الفخري في الآداب السلطانية وغيرهما من مفكري الإسلام ومؤرخيه ؛ ومن أبرز هؤلاء المفكرين السياسيين وأقدمهم أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي مؤلف كتاب « سراج الملوك » ، وهو كتاب حافل بالأخبار الشائقة ، والنوادر الطريفة ، والقصص الممتعة ، والنظرات السديدة ، والملاحظات القيمة ، والحكم الجامعة ، وهو ثمرة تجربته المستفيضة ، وعلمه الغزير ، واطلاعه الواسع ، وتضلعه من التاريخ والفقه والشريعة والآداب الإسلامية ؛ وقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى كتاب الطرطوشي فقال في معرض كلامه عن العمران البشري والاجتماع الإنساني : « وكذلك حوّم أبو بكر الطرطوشي في كتاب « سراج الملوك » وبوّبه على أبواب تقرب من أبواب كتابنا هذا ومسائله ، ولكنه لم يصادف فيه الرمية ، ولا أصاب الشاكلة ، ولا استوفى المسائل ، ولا أوضح الأدلة ، إنما يبوّب الباب للمسألة ، ثم يستكثر من الأحاديث والآثار وينقل كلمات متفرقة لحكماء الفرس وغيرهم من أهل الخليقة ولا يكشف عن التحقيق قناعاً ، ولا يرفع البراهين الطبيعية حجاباً . إنما هو نقل وترغيب شبيه بالمواعظ ، وكأنه حوّم على الغرض ولم يصادفه ، ولا تحقق قصده ، ولا استوفى مسائله ، ونحن ألهمنا الله إلى ذلك إلهاماً .... » وقد أراد ابن خلدون أن يفخر بعلمه وبما أنعم الله عليه من أسباب التوفيق ، فلم ير بأساً في التعالي على الطرطوشي ، ولم تكن غاية الطرطوشي علمية خالصة مثل ابن خلدون في مقدمته ، وإنما كان يريد أن يعرض ملاحظاته ومشاهداته عرضاً فنياً لتؤثر في النفوس وتجذب الألباب وتتغلغل إلى القلوب ؛ ولهذا كان يستكثر من الأقاصيص العجيبة والنوادر المتخيرة ؛ وحقيقة أن أبا بكر لم يكن نداً لابن خلدون في القدرة على التقصي والتماس العلل والأسباب ، ولكن هدفه لم يكن هدف ابن خلدون ؛ ومن الإنصاف في النقد أن ننظر إلى مدى توفيق المؤلف في إصابة الأهداف التي رمى إليها .

وأعتقد أن كتاب سراج الملوك يرجح إذا وزناه بهذا الميزان لأنه حقق الهدف الذي قصده مؤلفه .

والطرطوشي نسبة إلى مدينة طرطوشة إحدى مدن إسبانيا ، وقد وصفها صاحب الروض المعطار بأنها واقعة في سفح جبل ، وأن غالبها خشب الصنوبر الذي تتخذ منه صواري السفن ، وبينها وبين البحر المتوسط ما يقرب من عشرين ميلاً ، وبأنها وسط مجاري نهر ، وقد ولد بها في سنة إحدى وخمسين وأربعمائة هجرية ، وتلقى بها علوم الأدب والدين والشريعة ، ثم صحب القاضي أبا الوليد الباجي بسرقسطة وسمع منه وأجازه أبو الوليد ، وقرأ الأدب على أبي محمد بن حزم بمدينة إشبيلية ، ثم رحل إلى المشرق في سنة ست وسبعين وأربعمائة ، وأدى فريضة الحج ودخل بغداد فتفقه على أبي بكر الشاشي وأبي محمد الجرجاني ، ودرس في البصرة وسكن الشام مدة ودرس بها ، ثم زار بيت المقدس ، ودخل مصر ، وقضى حيناً من الزمن في القاهرة ، ثم انتقل منها إلى الإسكندرية ، واستقر بها إلى أن أدركته الوفاة في سنة ٥٢٠ ، ودفن في ناحية الباب الأخضر وقبره معروف بالإسكندرية ، وكان الطرطوشي إماماً زاهداً ورعاً ديناً متواضعاً متقشفاً متقللاً من الدنيا راضياً منها باليسير ، وله عدة مؤلفات منها مختصر تفسير الثعلبي والكتاب الكبير في مسائل الخلاف وغيرهما ، وكان لهذا العالم الجليل والزاهد المتعبد شعر رقيق ينم على نفس حساسة وشعور مرهف ، من ذلك قوله :

أقلب طرفي في السماء ترددا
لعلي أرى النجم الذي أنت تنظر
وأستعرض الركبان من كل وجهة
لعلي بمن قد شم عرفك أظفر
وأستقبل الأرواح عند هبوبها
لعل نسيم الريح عنك يخبّر
وأمشي وما لي في الطريق مآرب
عسى نغمة باسم الحبيب ستذكر
وألمح من ألقاه من غير حاجة
عسى لمحة من نور وجهك تسفر

وقد جعله زهده وورعه قوالاً للحق كارهاً للباطل شديد التبرم بالظلم طالباً للعدل تواقاً إلى الإصلاح مؤثراً النصح والإرشاد والوعظ ، صريحاً في مخاطبة الرؤساء والحكام ، معتقداً أنه بذلك يؤدي واجبه ويبلغ رسالته .

وقد قدم الطرطوشي مصر في عهد اضمحلال الدولة الفاطمية وقرب أفول نجمها وانطواء سلطانها ، وكان للوزراء الفاطميين في تلك الفترة السلطة المطلقة والنفوذ التام . ولما وجد الخليفة الآمر الفاطمي أن وزيره الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي قد استبد بالأمر دونه ولم يترك له من الأمر شيئاً شعر بالحاجة إلى التخلص منه ، فدبر مكيدة لاغتياله ، وقد قتل الأفضل في سنة ٥١٥ هـ وخلفه في الوزارة أبو عبد الله المأمون بن البطائحي ، ولأمر ما كان الأفضل يكره الطرطوشي فلم يرع حقه وقصر في إكرامه ، وربما كان لصراحة الطرطوشي أثر في ذلك . ولما قتل الأفضل وولي بعده المأمون بن البطائحي أكرم الشيخ إكراماً كثيراً ، والظاهر أن الطرطوشي أراد أن يقابل هذا الإكرام والصنيع الحسن بالتقدير الذي يستحق فألف كتابه المسمى « سراج الملوك » وأهداه إليه ، وأشار إلى ذلك في مقدمته بقوله « ولما رأيت الأجل المأمون تاج الخلافة وعز الإسلام ، فخر الأنام ، نظام الدين ، خاصة أمير المؤمنين ، أبا عبد الله محمد الآمري ، قد فضل الله به على المسلمين فبسط فيهم يده وقصر في صالح أموالهم كده ، رغبت أن أتحفه بهذا الكتاب ليذكر فضائله ومحاسنه ما بقي الدهر » ثم تمثل بهذين البيتين :

الناس يهدون على قدرهم
لكنني أهدي على قدري
يهدون ما يفنى فأهدي الذي
يبقى على الأيام والدهر

وعلل الطرطوشي إهداءه الكتاب للبطائحي بقوله : « إن العلم عصمة الملوك والرؤساء ، ومعقل السلاطين والوزراء ، لأنه يمنعهم من الظلم ، ويردهم إلى الحلم ، ويصدهم عن الأذية ، ويعطفهم على الرعية ، فمن حقهم أن يعرفوا حقه ، ويكرموا حملته ، ويستبطنوا أهله » .

وقد كسر الكتاب على أربعة وستين فصلاً ، فالباب الأول مثلاً في مواعظ الملوك ، والباب الثاني في مقامات العلماء والصالحين عند الأمراء والسلاطين ، وعقد فصلاً لمنافع السلطان ومضاره ، وفصلاً آخر لمعرفة الخصال التي هي قواعد السلطان ، واختص الوزراء بأحد الأبواب ، وتكلم عما يصلح الرعية من الخصال ، وعن علاقة السلطان بالجند ، وبيت المال ، وما إلى ذلك من الموضوعات التي تتصل بسياسة الملك وتدبير أمور الرعية . ومؤلفنا الفاضل على نقيض مكيافلي ، فقد وجد الأحوال في مصر سيئة ، وقد تكفل المؤرخون بوصف سوء حالة مصر في ذلك العهد المظلم ، وأراد أن يطب لهذه الأحوال السقيمة فلم ير خيراً من تحري العدل في السياسة والتعلق بالخصال الجيدة ، وأكثر من ذكر الشواهد والأمثلة والأحاديث والحكم والأخبار التي تؤيد وجهة نظره وتوضح سداد رأيه ، وعنده أنه لو أحسن الأمير ورجاله السياسة واستظلوا بالمبادئ الخلقية السامية لوطد الملك وصلحت أحوال الرعية .

أما مكيافلي فإن سوء الأحوال في إيطاليا جعله يفكر في علاج لإصلاحها وإنقاذها من كبوتها ، فدله تفكيره على أن هذا العلاج غير ميسور إلا إذا وجدت الحكومة القوية التي تستطيع حسم الفوضى وتوحيد الكلمة ، وأباح لأميره أن يختار السبل المفضية إلى ذلك دون أن يشغل باله بمراعاة الالتزامات الأدبية والوصايا الأخلاقية ، وهو صريح في فصله الأخلاق عن السياسة فصلاً تاماً لا تردد فيه ولا جمجمة ، وربما كان لحياة الرجلين الخاصة أثر في توجيه تفكيرهما ، فقد كان مكيافلي رغم ملكاته الأدبية الممتازة وإخلاصه لقضية بلاده رجلاً دنيوياً حريصاً على المتعة كسائر أبناء عصره ، أما الطرطوشي فكان رجل أخلاق ودين وطهارة وزهد وتقاه قبل كل شيء . وفي رأيي المتواضع أن آراء الطرطوشي أبعد في المدى المتطاول والنتائج البعيدة من آراء مكيافلي ومن يقولون له ويأخذون بوصاياه ونصائحه .

وأثر الزهد والروح الدينية واضح في الكتاب ، وقد روى عن نفسه في أحد فصول الكتاب فقال : « أحكي

فقد أمراً أصابني طيش عقل وذهاب حزمي وقطع نياط قلبي، فلا يزال مرآه حتى يوارين التراب، وذلك أني كنت يوماً بالعراق وأنا أشرب ماء، فقال لي صاحب لي، وكان له عقل: يا فلان لعل هذا الكوز الذي شربت فيه الماء كان إنساناً يوماً من الدهر فمات فصار تراباً فاتفق للفخاري أن أخذ تراب القبر فصيره خزفاً وسواه بالنار فانتظم كوزاً كما ترى وصار آنية تمتهن وتستخدم بعد ما كان بشراً سوياً يأكل ويشرب وينعم ويلذ ويطرب. فإذا الذي قاله من الجائزات، فإن الإنسان إذا مات عاد تراباً كما كان في النشأة الأولى، ثم قد يتفق أن يحفر لحده ويعجن بالماء ترابه فيتخذ منه آنية تمتهن في البيوت أو لبنة تبنى في الجدار أو يطين بها سطح البيت أو يفرش في الدار فيوطأ بالأقدام» ويسترسل في تحليل هذه الفكرة وتقليبها على جوانبها المختلفة ويقول في نهاية تحليله: «أليس في هذا ما أذهب العقول وطيش الحلوم ومنع اللذات وهان عنده مفارقة الأحباب والأموال واللحوق بقلل الجبال؟ أليس في هذا ما يصغر أمر الدنيا وما فيها؟ أليس في هذا ما زهد في اللذات وسلى عن الشهوات؟». وهذا الكلام يوضح لنا أن الطرطوشي كان مفكراً متأثراً بطبيعته الزاهدة وبرغبته السوق، غير أن غيره من الناس الذين يختلفون عنه في المزاج والطبيعة قد ينتهي بهم تفكيرهم إلى نتيجة مخالفة للنتيجة التي انتهى إليها الطرطوشي. فالرجل الأبيقوري المزاج مثلاً يرى أنه ما دام كل شيء إلى زوال وفناء، فلماذا لا نغتنم الحاضر ونعتصره ونستمتع به إلى أقصى حدود الاستمتاع، كالشاعر الأندلسي الذي قال:

لا تنم واغتنم مسرة يوم
إن تحت التراب نوماً طويلاً

فإن النوم الطويل تحت التراب لم يزهد هذا الشاعر في طيبات الحياة ومتع العيش، بل أغراه بطلبها وزين له الحرص عليها، ولكن وجهة نظر الطرطوشي مع ذلك جديرة بالتأمل والتقدير.

وقد روى لنا في كتابه أحد مواقفه من الوزراء صاحب الطول والطول الأفضل ابن أمير الجيوش فقال: «دخلت على الأفضل ابن أمير الجيوش وهو ملك مصر فقلت: «سلام عليكم ورحمة الله» فرد السلام على نحو ما تقتضيه ردّاً جميلاً، وأكرم إكراماً جزيلاً. وأمرني بدخول مجلسه والجلوس فيه، فقلت: «أيها الملك إن الله سبحانه وتعالى قد أحلك محلاً عالياً شامخاً، وأنزلك منزلاً شريفاً باذخاً، وملكك طائفة من ملكه، وأشركك في حكمه، ولم يرض أن يكون أمر أحد فوق أمرك، فلا ترض أن يكون أحد أولى بالشكر منك، وأمر الله قد ألزم الورى طاعتك فلا يكون أحد أطوع لله منك. وليس الشكر باللسان ولكنه بالفعل والإحسان، واعلم أن هذا الذي أصبحت فيه من الملك إنما صار إليك بموت من كان قبلك وهو خارج عن يديك بمثل ما صار إليك، فاتق الله فيما خولك من هذه الأمة، فإن الله سائلك عن النقير والقطمير والفتيل ....» وأنهى كلامه بقوله: «وافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم، أعانك الله على نصر المظلوم وجعلك كهفاً للملهوف وأماناً للخائف» وختم كلامه للأفضل بهذا البيت:

والناس أكيس من أن يحمدوا رجلاً
حتى يروا عنده آثار إحسان

وربما كان من خير فصول الكتاب الباب الخاص بفضل الولاة والقضاة إذا عدلوا، وفيه يقول: «ليس فوق رتبة السلطان العادل رتبة، كما أن خيره يعم. كذلك ليس دون رتبة السلطان الجائر الشرير رتبة أشر منه، لأن شره يعم. وكما أن بالسلطان العادل تصلح البلاد والعباد، كذلك بالسلطان الجائر تفسد البلاد والعباد وتقترف المعاصي والآثام. وذلك لأن السلطان إذا عدل انتشر العدل في الرعية وتعاطوا الحق فيما بينهم، وإذا جار السلطان انتشر الجور وعم البلاد واضمحلت المروءات وفشت المعاصي وذهبت الأمانات وانقبضت النفوس ....». ووصف في أحد الفصول خطورة موقف السلطان وصفاً دقيقاً فيقول: «الخلق في شغل عنه وهو مشغول بهم، والرجل يخاف عدواً واحداً وهو يخاف ألف عدو، والرجل يضيق بتدبير أهل بيته وإيالة شيعته، وهو مدفوع لسياسة أهل مملكته، وكلما رتق فتقاً من حواشي مملكته انفتق آخر، وكلما رم شعثاً رث آخر». وبطل

وجود الحكومة بقوله : « خلت الخلائق في حب الانتصاف وعدم الإنصاف ، ومثلهم بلا سلطان كمثل الحوت في البحر يزدرد الكبير والصغير ، فمتى لم يكن لهم سلطان قاهر لم ينتظم لهم أمر » والطرطوشي يمقت المكر والدهاء في السياسة ، وهنا يقول : « من صرف فضل عقله إلى الدهاء والمكر والشر والحيل والخديعة كالحجاج وزياد وأضرابهما فمذموم » ومن أقواله الحكيمة البارعة : « إن الرعية إذا قدرت على أن تقول قدرت على أن تفعل ، فاجتهد أن لا تقول تسلم من أن تفعل » .

ولم ينتفع رجال الدولة الفاطمية بكلماته الحقة ونصائحه القيمة ، فقد كانت دولتهم تخب إلى السقوط ، فذهبت كلماته صرخة في واد ، ولكنها كما كثر كانت الحكماء ونظرات المفكرين الملهمين إن كانت تذهب مرة مع الريح فقد تذهب مرة أخرى الأوتاد ، وفي اعتقادي أن كتاب سراج الملوك من الكتب الجديرة بأن تعرف ويلتفت إليها ، لما فيه من أدب وحكمة ونقد وسياسة وتوجيه وإرشاد في أسلوب رفيع وتنسيق بديع .

علي أدهم

الأسس القومية

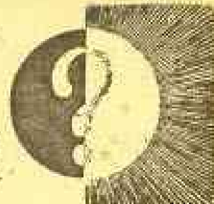
(بقية المنشور على صفحة ٥)

وقد يكون مزيجاً منها اجتمعت عناصره ، فتفاعلت أدى إلى هذه النتائج ؛ ومهما يكن الأمر فإن ما يكون الأمة ليس وحدة الجنس ولا اللغة ولا الدين بمقدار ما هو وحدة الشعور والتفكير ؛ فالقومية هي ظاهرة شعورية تتضمن تراثاً مشتركاً عن الماضي وعن رغبة مشتركة في اتباع طريقة معينة في مستقبل الأيام .

● ● ●

ويحق لنا أن نتساءل أخيراً : هل الوطنية شر أم خير ؟ هل هي تؤدي إلى ازدياد الرخاء أو الفقر ، إلى الحرب أم السلم ، إلى الحرية أم إلى العبودية ؟ وهو سؤال قد يصعب الإجابة عنه ؛ فكثيراً ما تميل القوميات من هذا الجانب إلى ذاك ؛ غير أن الحقيقة الراهنة هي أن القومية مرحلة من مراحل التطور السياسي ، فقد كانت الأسرة في الزمن الأول هي مجتمع قائم بذاته ، ثم حلت محلها القبيلة ، ثم جاء دور الدولة أو الأمة . والآن نرى أن هناك اتجاهاً نحو التكتل الإقليمي ، وهو واضح في اتحاد دول غربي أوربا مثلاً ودول شرقي أوربا وجامعة الدول الأمريكية وجامعة الدول العربية ، وقد تصبح هذه الرحلة مصدر خطر لو دخلت القوميات في سباق من التعصب الأعمى ، أو لو تمسكت بها الدول الجديدة طويلاً ولم تنتقل إلى ما بعدها من مراحل ، ولا شك أن العلم والاقتصاد وكل مقومات المدنية الحديثة كلها تسير بالعالم نحو الحكومة العالمية ونحو تأمين السلامة والأمن والسعادة للجنس البشري كله ، على الرغم من العائق التي تساوره ، وعلى الرغم من التجارب القاسية التي تدفعه .

علي رفاعة الأنصاري



كيف

العلم فى خدمة الانسان

للأستاذ جمال الدين محمد موسى

منزل المستقبل :

إن التغيرات العديدة التى ستتم قريباً داخل بيوتنا تصور الطبيعة الثائرة للعلماء الذين يرنون دائماً إلى الأمام وإلى تهيئة كل ما يساعد ركب الإنسانية فى السير نحو السعادة والراحة والحياة الهنيئة .

إنهم يرون أن بيوتنا لا تعكس إلا قليلاً من التحسينات الصناعية والميكانيكية التى أحرزناها فى عصرنا الحالى . وفى هذا القول نصيب كبير من الصحة . فلماذا لا تكون منازلنا مريحة خالية من الغبار ، مكيفة الهواء ، منشأة بطريقة تمنع الأصوات الخارجية المختلفة من اختراق جدرانها ، ومضاءة بضوء كأنه ضوء النهار لا يؤذى العيون ؟؟.

لقد أتاح لنا العلم ما يحقق هذه الرغبات وقريباً سيتمتع الجميع بهذه المزايا الرائعة .

كلنا يعلم أن النور الكهربائى يؤذى عيون الكثيرين ويتعبها ، ولذا فإن التفكير يتجه اليوم إلى استخدام أنابيب الفلوروسنت فى الإضاءة ، تلك المصابيح التى تتميز بضوئها الساطع الخالى من الحرارة والذى يماثل ضوء النهار ..

وستشمل الآلات التى تكيف هواء منزلك فى المستقبل مرسباً للتخلص من التراب يوضع عند مداخل الهواء ومخارجه ، وبذا يتاح لك أن تستنشق هواء نقياً ، وترى الستائر فى بيتك نظيفة لا غبار عليها ..

وتصنع هذه الأجهزة اليوم فى أمريكا فى مؤسسة وستنجهاوس التى صنعت منها عدة مئات ركبت فى بعض منازل الذين ، وتبلغ تكاليف إنتاج المرسب خمسة وسبعين جنيهاً ، ولكن بزيادة التوزيع فى المستقبل وزيادة الإنتاج ستنخفض الثمن .

والكثير منا تثير أعصابه الضوضاء ، ويوجد الكثير منها فى منازل اليوم ، سواء أتت من الخارج أو من حجرة الأطفال أو المطبخ ... وبفضل العلم أمكن إنتاج مادة تمتص الأصوات استخدمت فى أثناء الحرب فى أغراض عديدة ، واليوم قد زودت بعض أكشاك التليفون فى مدينة نيويورك بهذه المادة فيمكن التحدث داخلها بكل سهولة حتى ولو كان هناك قطار يفرقع بصوته إلى جوار المتحدث . فلماذا لا نستخدم هذه المادة فى منازلنا لتريح أعصابنا وتهبنا الراحة ؟؟ .

إن منزل المستقبل سيحقق لنا أمنيتنا ، فيصمم بحيث يمنع الأصوات النابية من اختراق جدرانه ...

ثم ما هو أمر الأثاث الذى يشغل أغلب الفراغ فى منازلنا ؟؟.

إن الاتجاه اليوم هو التقليل بقدر الإمكان من الحيز الذى تشغله ، فتوضع الخزائن والدواليب وموائد الزينة داخل الجدران ، وتجهز بإضاءة داخلية بحيث يسطع فيها النور إذا ما فتحت أبوابها ..

الفرش في المنزل :

وإذا نحن نظرنا إلى الأثاث التي اتخذها الإنسان في معابده رأينا أنها ستحل بيتنا في المستقبل مفرشاً جذاباً ، تجري فيه الأذواق المتباينة وقد صنعت من تلك الصباغ ذات الألوان الزاهية . وستجد بين يديك ستائر أو أغطية ومنتجات منسوجة من خيوط الزجاج أو النايلون لا تتأثر بالنار ولا تبلى ، وتعيش العمر ...

تكييف الهواء :

وستكيف هواء منزلك بحيث يكون دافئاً في الشتاء منعشاً في الصيف .

مطبخك الحديث :

وما أروع الصورة التي سيكون عليها مطبخك الحديث . فسيحوي ثلاجات كهربية تصنع بحيث تتكون من أقسام متباينة الحجم توضع فيها ألوان الطعام المختلفة كل في مكانه الخاص .

فحم رائع :

وهناك فحم رائع أحرزه العلم سيتيح لك المقدرة على وقود الفحم ، ولكنه لا يعبق الجو بالدخان . وسر ذلك أن أكثر من تسعين في المائة من الدخان الذي ينتج من احتراق الفحم يستهلك في الفرن كوقود ! إذ تدفع تلك الغازات المدخنة إلى الفرن فتحترق ، ولا يتصاعد من مدخنة الفرن غير الغازات التامة الاحتراق عديمة الدخان . وإن في ذلك ما يقلل من استهلاك الوقود بما لا يقل عن خمس وعشرين في المائة ، كما يجعل من الممكن استعمال أنواع رخيصة من الفحم ...

وقد أتم عمل هذا الفرن أستاذ الهندسة الميكانيكية في جامعة إلينويس بالولايات المتحدة .

فمطبخ الغد إذاً لن يكون مرهق التكاليف بفضل مثل هذه الخدمات التي يقدمها العلم ، هذا إلى جانب النظافة والأناقة .

حمام شمسي في البيت :

وسيصمم الحمام الحديث بحيث تكون أرضه من الملاط الذي لا يتأثر بالماء ، وبذا يتسنى لك أن تسير عليه عاري القدمين بغير أن يصيبك البرد . كما ستكون به أجهزة خاصة تمدك بالماء في أية درجة من درجات الحرارة ، ومصابيح خاصة تصدر عنها إشعاعات فوق بنفسجية ، فتتيح لك تناول حمام شمسي في بيتك ...

* * *

في عالم الطيران :

إن التقدم الذي أحرزه ويحرزه العلم في عالم الطائرات سيجعل الطيران يقفز إلى الأمام في سبيل الكمال .

ففي أمريكا اليوم تصنع طائرات يمكن أن تقل مائة مسافر أو يزيد ، كما تصنع طائرات تنقل نصف ألف من المسافرين دفعة واحدة . ويجري العمل على قدم وساق لتوفير أسباب الراحة في الطائرات توفيراً عظيماً ...

ويعرف الكثيرون قصة طائرة الهليكوبتر . فهذه الطائرة تتميز بأنها صغيرة الحجم يمكن الطيران بها أفقياً إلى أي اتجاه أو الهبوط بها إلى بقعة صغيرة من الأرض . كما أن مروحتها المثبتة في رأسها يمكن طيها بكل سهولة وحفظها في أي جراج عادي . وتلك ميزات تؤهلها لأن تحل محل السيارة العادية في المستقبل . وفي القريب ستخرج المصانع نوعاً من هذه الطائرات لا تزيد تكاليف الواحدة منها على أربعمائة من الجنيهات .

وتستخدم طائرات الهليكوبتر اليوم في بعض أجزاء الولايات المتحدة في توزيع البريد .

الزجاج :

يتميز الزجاج بأنه يقاوم لدرجة جيدة فعل المواد الكيميائية ، وهذا يؤهله للاستعمال في أغراض صناعية عديدة ، ولكن ثمنه المرتفع يقف عثرة في سبيل استعماله على نطاق واسع . ومع ذلك فإنه يستخدم في بعض المباني في تغطية السقوف لأن مقاومته المتميزة لفعل العوامل الجوية تجعل استعماله اقتصادياً ...

جمال الدين أحمد مرسي

المتاحف ودراسة العلوم

الأستاذ سليم فريد

لم تكن المتاحف تعطى حقها من التقدير – إلى سنوات خلت – فى ناحية القيمة التعليمية والثقافية ، حتى أصبحت قيمتها من هذه الناحية ، تختلف عما كانت عليه من قبل ، وقدرت كما يجب . ويرجع هذا إلى أن المتاحف كانت تعرف بأنها أمكنة (تعرض فيها صفوف متراصة من تحفيات مختلفة يعلوها الغبار) . وحتى طريقة عرضها لم تكن فى تنسيق أو تنظيم . ولذلك كان من الصعب أن تقنع أولئك الذين شاهدوا المتاحف فى صباهم ، كيف أنها تطورت ، وأصبح لها خطرها وأهميتها فى الثقافة والتعليم .

ثم إن كلمة (متحف) لم تتغير ، وإنما الأغراض والنظم التى يرمى إليها منظمو المتاحف فى عهدنا هذا ، قد تغيرت تغيراً تاماً بالنسبة إلى ما كانت عليه الحال من قبل ، فى خلال عشرين سنة مضت فقط . وأصبحت المتاحف الآن بعيدة عن الميل الغريزى المنظم ، فى جمع التحفيات وغيرها جمعاً منسقاً .

ونلاحظ أن أول ما يلفت نظر المتفرج فى المتحف ، هو ما كان متعلقاً بالتاريخ الطبيعى وتطور السلالات البشرية Ethnology ، ولذلك أصبح من واجب منظمى المتاحف السعى أولاً للحصول على ما يجب عرضه بالمتحف وحفظه ، وثانياً ترتيب المعروضات ترتيباً يراعى فيه مطابقته للأصول العلمية من حيث تصنيف المعروضات نفسها ؛ فمثلاً تلك الخاصة بالتاريخ الطبيعى لها تصنيفها الخاص ، وما يخص علم الأجناس له تصنيفه الخاص ، وكذا علم الآثار والنبات وغيرها ، كل له التصنيف المناسب .

ويجدر بنا أن نقول إن التجربة قد أثبتت ضرورة فصل الأعمال الخاصة بالمتاحف عن تلك الخاصة بأبهاء الفن (Art Galleries) . وتكاد الآراء تتفق على أنه فى الجهات القليلة بالسكان يحسن هذا الفصل بين الاثنين ، ولا بأس من أن يكون بناء المتحف قريباً من بناء (بهو الفن) . وهذا علته بسيطة ، وهو أن المتاحف يقبل عليها الجمهور أكثر مما يقبل على أبهاء الفن التى لها جمهورها الخاص .

وجمهور المتحف يختلف باختلاف أمزجته ، وقد قسمه الدكتور والبس (الذى ننقل عنه هذا البحث مما نشره بمجلة إنديفر "Endeavour") إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول ، وهو ما سماه بجمهور العطلة – هم أولئك الذين يدخلون المتحف هاربين من بلل المطر فى الطريق ، ومن كانوا يقضون وقتاً ما يتأملون إحدى القطع ، [illegible] شكلها أو لغرابته أو لشىء ما فيها يعرفونه .

والقسم الثانى – هو جمهور المتنورين المهتمين بالمتاحف ، كأعضاء الجماعات الثقافية ، والطلاب الذين يرغبون فى زيادة معلوماتهم عما يدرسونه . وهؤلاء جميعاً لهم احترامهم العلمى ، وإن كان محدوداً من ناحية زيارة المتحف ، فهم ليسوا متفرجين عاديين ، إذا دخلوا المتحف مرة أو مرتين لا يعودون إليه ، بل تتكرر زياراتهم ويطول مكثهم فى قاعاته ، ووقوفهم أمام معروضاته .

وأما القسم الثالث ، فهم أولئك الذين يعملون فى أبحاث خاصة ، يريدون استكمالها ، عن طريق دراسة بعض معروضات المتحف فى ناحية خاصة ، ليطلعوا على الوسط العلمى بنظرية جديدة أو رأى حديث ، استنبطوه خلال دراستهم .

• • •

لقد رأى أمناء المتاحف في أيامنا هذه، أنه إلى جانب جمع وحفظ وتصنيف معروضات متاحفهم، يجب أن يراعوا أمد التثقيف عن طريق المعروضات. فعليهم شرح كل قطعة للجمهور شرحاً وافياً مختصراً، حتى تحدث الفائدة المرجوة من العرض.

والواقع أن أساس عمل أمين المتحف هو أن يمكن جمهور المتفرجين والدارسين من رؤية الشيء المعروض رؤية واضحة صحيحة، وذلك بأن يكون موضعها في مكان لا يكتنفه ظلام أو ظلال، وأمامها بطاقة مكتوب عليها وصف القطعة بعناية، حتى تكون عاملاً تعليمياً صادقاً.

ولا شك أنه في المتاحف يمكن تصوير وتفسير العلوم المعروفة، كعلم النبات وطبقات الأرض والحيوان. والمتاحف من هذه الناحية تسهل الدراسة البيئية ecology التي هي أيسر من تنسيق النباتات والحيوانات تبعاً لأجناسها. فإذا كان مدخل المتحف قاعة واسعة، أمكن إعداد «قاعة المناظر الطبيعية diorama» بها، تصور الريف تصويراً طبق الأصل منظراً لجهة قريبة بنباتاتها وحيواناتها.

ومن السهل انتقاء كتل من الصخور المحلية وبضعة نباتات وحيوانات محنطة لإقامة تلك القاعة. وفي المتحف الأهلي بويلز بالجزائر البريطانية مثل رائع لهذه القاعة. وقد يحتاج الأمر إلى تعدد قاعات المناظر الطبيعية كلما كان هناك اختلاف في بيئات الناحية، كذلك يمكن إعداد مناظر بيئية تبين حضارة ما قبل التاريخ وما بعده، وهذا من صميم أغراض المتاحف. وهذه القاعات إذا أضيئت بطرق الإضاءة الحديثة فإنها تجذب جمهور المتفرجين عامة (وجمهور الطلبة) خاصة، الذى قد يستفيد إذا طالت الأمطار فائدة عملية، بتعرفه إلى البيئة التى يعيش فيها.

وإذا كان الباحث المحقق، يستفيد من مثل هذه المعروضات، فإنه — في الواقع ونفس الأمر — أكثر احتياجاً إلى ما هو أكثر تفصيلاً، إذ تلزمه سلسلة من نماذج مبادىء العلوم المختلفة، كعلم طبقات الأرض والحيوان والنبات والآثار، تعرض في أبهاء واسعة عرضاً علمياً منظماً. وليس الغرض هو عرض نماذج كاملة لجميع حيوانات الإقليم مثلاً، أو حتى حيوانات العالم أجمع، بل الغرض من تلك النماذج هو إعطاء فكرة واضحة سليمة عن مجموعة حيوانات من فصيلة واحدة. كذلك في نماذج النبات، يجب أن يتجنب العرض السخيف لنباتات الإقليم، ويكتفى ببعض النباتات الطبيعية والمزروعة في الإقليم لتعطى فكرة كاملة عن البيئة النباتية للإقليم. وإن الزراعة وفلاحة البساتين والتشجير، لتروة علمية لمثل هذه المعروضات.

وليس معنى هذا أن نقول إن متحف المستقبل سيكون متحف آراء، لا متحف معروضات، بل المقصود أن أبهاء وقاعات العرض ستكون مشتملة على بيانات مجسمة تمثل التطور والحياة وغزو الإنسان لعالم المادة، والنقل في مختلف العصور. ونوضح هذه البيانات المجسمة عن الحيوانات المحنطة والنباتات المجففة، وقطع المعادن وغير ذلك..

ومثل هذا يمكن لزائر المتحف أن يدرس الإنسان وعمله أيام سكنه الكهوف ثم الأكواخ ثم المنازل والقصور، وأيام عريه ثم ستر عورته ثم تفننه في الملبس، وهكذا. ويوجد مثل رائع لهذا في متحف نيوارك بنيوجرسى بأمريكا.

وتمثل معظم المتاحف قطعاً عما قبل التاريخ وعصوره الأولى، مما يوجد في مناطقها، وكذا عدداً كبيراً من المعروضات الخاصة بدراسة الأجناس البشرية، تبين لنا فنون وصناعات مختلف الشعوب، وهذا ما اهتم به منظمو المتاحف أيما اهتمام. ولا شك أن هذا من شأنه أن يرينا كيف كان يعيش أجدادنا في الزمن السالف، وحتى إلى مئات السنين القريبة.

وبذلك أصبح المتحف لدى الكثيرين عاملاً مهماً لبيان أن المبادئ الأولية للعلوم ما هي إلا جمع الحقائق والظواهر ، لا إخراج نظريات ووضع فروض .

***

هذا ويجب أن يكون في كل متحف إلى جانب القاعة الكبرى والأبهاء المختلفة سلسلة من الغرف الجانبية للطلاب الجادين في عملهم ، على أن تحوى هذه الغرف معظم المجاميع مرتبة بدقة وفقاً لطاقات الشرح الخاصة بها طبقاً لأساليب الشرح الفنية .

وبهذا كله تتحلى المتاحف العلوم بتفسيرات وافية ، متمشية مع الاتجاهات الفكرية الحديثة ، هي عبارة عن مادة حقيقية معتمدة البحث . كما أن المتاحف تسير مع اهتمام الجماهير بالعلوم ، ذلك الاهتمام الذي أخذ يتجه نحو المسائل الفلكية والطبية والعضوية والكيميائية الطبيعية ؛ وأمامنا الذرة مثلاً لهذا الاهتمام ، وقد طغى التفكير والبحث فيها على كل شيء في هذه الأيام ، وأصبح الناس يفكرون ويقصدون ، باحثين في مدى الإضرار ومدى النفع من الذرة ، وإذاً فلا بأس من عرض صور مجسمة للذرة وتراكيبها ومركباتها وغير ذلك ، حتى يتفهم جمهور المتاحف هذا الشيء الذي قرأوا عنه ولم يروه رأى العين ، ولم يلمسوه مادياً .

كذا لا بأس من أن تعرض المتاحف نماذج كبيرة تبين الخسوف والكسوف والمجموعات الفلكية ، والتطور التاريخي العلمي في الفكر عن خلق الأرض ، والفوائد الفلكية للمرقب العادي والمرقب الطيفي . كذا عرض المواد الجديدة التي ظهرت إبان وعقب الحروب الحديثة ، خصوصاً مستحضرات الصناعة (البلاستيك) والنايلون مثلاً ، وطريقة صنعها ؛ وبذلك تمحى الفكرة التي تقول إن المتاحف ما هي إلا أمكنة لعرض أشياء أصبحت في خبر كان ، وبذلك أيضاً يستفيد رجل العلم ورجل الصناعة ، كل في ناحية عمله ، كما يزداد الشخص العادي معرفة .

ولا يغرب عن البال أن المتاحف في حالات عديدة ، قد تكون منبعاً تاريخياً يحتوى أسس حل بعض المشاكل الحاضرة خصوصاً في الطب والتشريع ، وحتى في علمي النفس والاجتماع ؛ ذلك لأن المتاحف يجب أن يكون من بين أغراض إنشائها أن تبين لنا كيف كان يعيش الناس ويعملون في سبيل الحياة ، وكيف كانوا يتعاملون مع الطبيعة ومنتجاتها .

ولقد أصبحت المتاحف في وقتنا الحاضر في حالة انتقال من العصور الماضية المختلطة بالحاضر ، إلى عصر يقترن بحياة المستقبل . ولما كان العلم يزداد سيادة يوماً بعد يوم ، فيجب أن تمد المتاحف لتعريف الجمهور بالعلم ، تعريفاً مطابقاً لما بلغته العلوم عامة من تقدم .

حليم فريد

النهامة والنهمون ...

لكاتب فرنسي

ترجمة الأستاذ مبارك إبراهيم

النهامة فنٌّ دعامته اختيار ألوان الطعام والشراب وإعدادها إعداداً يراعى فيه الذوق والفن ، فلا يكون الطعام والشراب إشباعاً من جوع ، وإرواء من ظمأ فحسب ، بل يكون الطعام والشراب متعة لحواس النظر والشم والذوق ، فتستريح النفس كما تستريح [illegible] من ألحان الغناء ، تعقبه حركة ملهمة [illegible]

ولا تحسبن النهامة هي البطنة التي تقوم على [illegible] من الطعام امتلاءً عديداً ، بل قل إن البطنة هي نقيض النهامة ، بل قل إن البطنة هي الآية على بقاء الغرائز الوحشية بين قوم كانوا يحسبون — لولاها — من المتمدنين ، بينما النهامة هي الدليل الذي لا ينقض على أن صاحبها قد بلغ أعلى معارج الرقي ، لا في مسائل الطعام فحسب ، بل في مسائل الفن ! فهو يعرف كيف يربط بين الأسباب والمسببات ، وهو يعرف كيف يلائم بين الخطوط والألوان ، وهو يعرف كيف يلائم بين الرائحة والطعم ، وهو يعرف كيف يمزج بين التوابل والجوامد .

والنهوم ليس عبقرياً من العباقرة ، وكذلك هو ليس من أصحاب الوسواس والهوس ، ولكنه شخص — سواء أكان رجلاً أو امرأة — لا يعرف الشذوذ والالتواء ، يستوي في ذلك النهمون من الأغنياء والفقراء ، ومن الشبان والشيب ؛ فهم جميعاً يحبون المائدة التي رائدها الذكاء والعقل ، فيما يأكلون وما يأكلون ، وفيما يشربون وما يشربون ،

ولا بد للنهوم أن يكون معافًى ، سليم الحواس الخمس ، ولا بد فوق ذلك أن يكون سليم الحاسة الفنية ، أو إن شئت فسمها حاسة التقدير وعرفان القيم .

وهذه الحاسة هي التي تقوم عليها الفروق بين الإنسان وبين الحيوان .

وليس أحدنا يستطيع أن يدعي أنه أبصر من النسر أو من الهرة ، أو أنه أسمع من الكلاب والقطط وأشم منها للروائح ، أو أقوى ذاكرة من الفيلة .

ولكن الشمس لم تشرق يوماً ما على أي صنف من صنوف الطير والحيوان ، سواء مما طار في الجو أو انتفشت عليه الغابات ، أو ضمته الحقول والمزارع ، قد أوتي حاسة التقدير وعرفان القيم ، وحاسة تمييز النغم كما أوتي الإنسان .

فالرجل الذي كُفّ بصره لا يستطيع أن يستمتع بالصور والألوان ، ولكنه يستطيع أن يستمتع بالأنغام الموسيقية أكثر مما يستطيع أن يستمتع بها إخوانه المبصرون .

وكما أن من الناس من أصابهم العمى اللوني ، فكذلك منهم من أصابهم العمى الذوقي ، فهم يستطيعون أن يميزوا بين الحار والبارد في المأكل والمشرب ، ولكنهم لا يستطيعون أن يعرفوا الفروق بين الطعام الحسن ، حسن البداوة ، وبين الطعام الحسن ، حسناً [illegible] ، وهو ذلك

الطعام الذي تفنن صانعوه ، وتأنقوا في صنعه ، فطيبوه وتبلوه تتبيلاً .

وأمثال أولئك لا يمكن أن يحسبوا في عداد النهمين ، فهم لا يبالون أي طعام قدم لهم ، أو أي طعام وقع لهم ، وهم يفخرون بأنهم يأكلون كل شيء يلقونه في أي صورة من الصور .

والرأي عندهم أنهم يأكلون ليعيشوا ، وليسوا يعيشون ليأكلوا .

ولكنهم جهلوا أنهم بذلك قد حرموا أنفسهم أكبر لذة من لذائذ الحياة ، وما دروا أنهم بذلك قد أشبهوا الأسماك في البحار ، والطيور في السماء ، والوحوش في الغابات ، فهي تأكل من خشاش الأرض ، ومما ترمي به الريح ، دون أن تغضب أو تثور ، وسواء أكنا نهمين أو لم نكن فإنه (يجب) علينا أن نأكل ، وكلمة (يجب) هنا كلمة لا تقبل الاستثناء أبداً .

والنهمون يلاقون هذا الواجب المفروض بما يستحقه من تقدير أكثر مما يفعل غير النهمين ، وهم يأبون أن يصبح هذا الواجب المحبب ، واجباً [illegible] ما اندثر من كيانه ، وما انهدم من [illegible] أو عادة ميكانيكية ، بينما هم قادرون على أن يجعلوا [illegible] الطيبة تلتذ بها حاستا الشم والذوق .

وإن كان هذا العمل يكلفهم مزيداً من الجهد والوقت ، فهو عندهم جهد غير مفقود ، ووقت غير ضائع .

والنهمون كشكل رجال الفنون يولدون ، ولا يصنعون ، وهل رأى الناس مغنياً أو شاعراً صنعه المران ، وأنشأه المال ؟ وكذلك لن يصنع المران ، ولن ينشئ المال نهماً واحداً من النهمين .

وهل رأى الناس شجرة تجود بالثمر إن لم تكن جذورها قد تأصلت في أرض خصبة ؟

وقد تبذر البذور في الأرض فتأكلها الديدان ، وقد لا تنبت البذور أبداً ، وذلك بسبب نقص التربة أو زيادتها ، ومن ثم نرى أن الفقر المدقع ضرره كضرر الثراء العريض .

وإذا أنبتت البذور وجب أن تحاط الشجرة بالرعاية والعناية ، وكذلك رجل الفن في كل ضرب من ضروب الفنون ، سواء أكان أديباً ، أو موسيقياً ، أو مصوراً ، أو نهماً .

والفروق بين الرديء ، والجيد ، والأجود ، لا تكاد تبين ، وهذه الفروق الدقيقة لا يمكن أن تدرك إلا بالممارسة والمران .

ولما كان الغرض الأول من الطعام أن يكون لذة للنفس ، ووقوداً للجسم في آن معاً ، فإن أول ما يجب علينا هو أن نعرف ما يلائم ذوقنا ، وما يناسب حاجات جسمنا ، كما يجب علينا أن نسقط من حسابنا مسألة الفيتامينات ، ومسألة الوحدات الحرارية ، فنحن لسنا من خلائق ([illegible]) ، ولكننا كائنات تسيطر علينا أعصابنا ، بل نحن كائنات قوامها الأمزجة والعادات ، وخير ألوان الطعام هو ما يلذنا منظراً ورائحة ، سواء أكان ذلك اللون حمضاً أو حلواً أو بائخاً .

والنهمون هم في العادة أفراديون ، ولكنهم يخضعون [illegible] لقواعد عامة ، أقرها أصحاب الذوق وأرباب الطهو .

ومن القواعد التي انعقد عليها الإجماع أن يكون صنف الطعام الذي يقدم أولاً شهياً ، وقليل الكثافة ، وأكثر استساغة في المذاق من غيره ، ثم يتلوه الصنف الأكثر كثافة والأكثر إشباعاً ، وهو ما يسمى بالصنف الرئيسي ، ثم يأتي بعد ذلك صنف خفيف ، طيب الرائحة ، حلو المذاق ، ولا بد أن يكون هذا الصنف الأخير صنفاً بارداً حلواً ، فيكون مسك الختام .

ويجب أن يكون اللون الأول من ألوان الطعام كمقدمة الكتاب تشوق لما سوف يشرحه لك الكتاب ، ويفصله تفصيلاً ، ويجب أن يكون حكمه حكم المقدمة خفيفاً غير مخل .

ومن الأغلاط الشائعة لدى كثير من الآكلين ولعهم بمقدمات الطعام ، واتخاذها صنفاً أساسياً ، وهذا يخالف طبيعة تلك المقدمات ، غير متفق مع ما اختصت به وأعدت له ...

(عن الإنجليزية) مبارك إبراهيم

الرهــــــان

لتشيكوف

ترجمة الأستاذ حسين كامل السعيد

كان الحديث يدور بين البليونير الشيخ والمحامي الشاب حول عقوبة السجن المؤبد ، وكان من رأي البليونير أن الموت أهون من هذه العقوبة ، ولكن المحامي الشاب عارضه في رأيه وأظهر استعداده للمراهنة على أن يقضي في السجن خمسة عشر عاماً .

وقبل البليونير أن يدفع إلى المحامي الشاب مليونين من الروبلات على شرط أن يخسر الرهان إذا بارح السجن ولو قبل الميعاد المتفق عليه بساعتين .

ومرت الخمسة عشر عاماً إلا قليلاً ، وفي أثناء هذه المدة كان كل ما عرف عن السجين أنه [illegible] عدداً كبيراً من الكتب في شتى الموضوعات وأنه زود [illegible] طلبه .

وفي أثناء هذه المدة أيضاً مرت على البليونير [illegible] ساءت فيها حالته المالية إلى أن أصبح عاجزاً عن وفاء الدين ، والأيام إلى نهايتها بسرعة ، وأخذ يفكر في طريقة للخلاص من هذا الدين الذي أصبح عاجزاً عن قضائه ، ووجد بعد إمعان الفكر أن أحسن طريقة للخلاص من الدين هو الخلاص من الدائن .

ولهذا انسل يحتذر إلى حجرة السجين عشية يوم التحرير وقد عقد النية على قتله ، ولكنه فوجئ بما أفسد عليه خطته ، فلقد وجد بحجرة السجين شمعة في النزع الأخير ، وأبصر السجين جالساً على كرسي بجانب المائدة وظهره إلى النافذة وشعر رأسه مرسل على كتفيه ، والكتب مبعثرة هنا وهناك حول المنضدة وفوق الكرسي ، وعلى البساط ، ووجد على المنضدة وبجوار رأسه ورقة قد خط عليها عدة أسطر بيد مرتعشة ، وأخذ البليونير الورقة وأخذ يقرؤها فوجد مكتوباً عليها :

« غداً في الساعة الثانية عشرة تفك قيود سجني ، وسأمنح حرية الخروج والاتصال ببني جنسي ، ولكني قبل مغادرة هذه الغرفة ومشاهدة ضوء الشمس أرى من الضروري أن أقول كلمة .

« إني أصرح بضمير نقي وأمام الله الذي يراني ، أني أحتقر الحرية والحياة والصحة وكل ما تعتبره كتبك في أنه نعم الحياة ومباهجها ، خمسة عشر عاماً قضيتها درست فيها [illegible] حقيقتها ، وأعلن أني لم أر فيها الأرض ولا الناس ، ولكني في كتبك شربت خمراً عطرة ، وأنشدت أغنيات [illegible] والضواري في الأحراش والغابات ، [illegible] جميلات مثل السحب الأثيرية التي أبدعتها عبقرية شعرائك السحرية ، زرنني في الليل وهمسن في أذني حكايات عجيبة أسكرتني .

« في كتبك صعدت إلى قمم الجبال ، ورأيت من فوقها كيف تشرق الشمس في الصباح ، وكيف تغرب في المساء ، رأيت البحار والجبال وقد غرقت في بحر من الذهب الأرجواني ، ولقد رأيت فوقي وأنا على قمتها كيف يغطي ضوء البرق السماء ، ورأيت الغابات الخضراء ، والحقول والأنهار والبحيرات والمدن ، ولقد سمعت الأناشيد السماوية والمزامير الربانية ، ولمست بيدي أجنحة الملائكة التي أتت إلي طائرة تحدثني عن الله . في كتبك هبطت إلى أعماق الهوات وصنعت المعجزات وأحرقت المدن وتركتها خراباً يباباً تنعى من بناها ، وتشربت ديانات جديدة وغزوت كل الممالك .

« إن الكتب قد منحتني الحكمة ؛ إن كل حكمة الأولين التي اجتمعت عقلية الأجيال الصاعدة قد تركزت

وتبلورت فى عقلى ، وإنى لأعرف أنى أكثر ذكاء منكم جميعاً .

« والآن أقول إنى أحتقر كتبك . أحتقر كل مباهج الحياة وحكمتها ، إن كل شىء باطل وزائل ووهم ومخادع مثل السراب ، إنكم مزهوون ، ولكن سيأتى اليوم الذى يكنسك فيه الموت من على وجه الأرض ، وأصبح كالفأر الذى تحت الأرض ، إن ذريتك وماضيك وعباقرتك الخالدين سوف يذوبون كقطعة الثلج التى توضع تحت أطباق الثرى .

« إنك مجنون وإنك تسلك الطريق الخاطئ ، إنك تؤثر الكذب على الصدق والقبح على الجمال ؛ إنك لتعجب إذ رأيت أنه بدلاً من أن تنمو شجرة التفاح والبرتقال تنمو الضفادع والسحالى ، فهل أعجب لك إذا كنت تشترى الأرض بالسماء ؟ إنى لا أريد أن أفهمك .

« إنى أريك احتقارى لكل شىء تعيش من أجله ، إنى أرفض مليون الروبلات التى ظللت أحلم بها كما أحلم بالجنة والتى أحتقرها الآن .. إنى سأحرم نفسى منها بإرادتى .. إنى سوف أخرج من هنا قبل الميعاد المحدد بخمس ساعات وبذلك أخل بالشرط » .

وما إن انتهى المليونير من قراءة الخطاب حتى قبل رأس الشاب وعاد ثانية إلى منزله ، وفى اليوم التالى أنبأه حارس الغرفة وأخبره أن السجين قد هرب .

الحياة بهيجة

إن الحياة ليست تجارة رائعة ، ولكن ليس من العسير أن تجعلها بهيجة . لأى سبب لا يكفى أن تربح مائتى ألف من الروبلات ، أو تمنح نيشان الصقر الأبيض ، أو تعطى مركزاً مرموقاً ، أو تتزوج بامرأة جميلة لتكون سعيداً ؟ السبب أن كل هذه الأشياء ستصبح شيئاً عابراً ، ولكى تشعر أنك دائماً سعيد حتى فى أوقات الهم والكرب ، فأنت تحتاج أولاً إلى القناعة بحالتك الراهنة ، وثانياً تبتهج كلما أصابك ضر مؤمناً بأن الأمور ربما أتت أسوأ .

ابتهج إذا اشتعلت علبة الثقاب فى جيبك ، واسجد لله شاكراً على أن جيبك ليس مخزناً للبارود .

إذا حضر لك أقاربك فى عطلة الأسبوع فلا تضايق وشحب وجهك ، بل تصيح لحظك السعيد ، وابتهج حامداً الله على أنهم ليسوا شرطة أتت لتقبض عليك .

إذا دخلت شوكة فى أصبعك فابتهج على أنها لم تكن فى عينك . ابتهج لأنك لست حصان عربة أو ثور عربات أو خنزيراً أو حماراً أو دباً تقوده غجرية .

ابتهج على أنك لست سجيناً فى زنزانة ضيقة لعدم وفائك ديونك .

إذا شعرت بألم فى إحدى أسنانك فابتهج على أنه ليس فى كل أسنانك .

إذا لم تكن قاطناً فى مكان ليس بعيداً مثل سيبريا ، ألا تبتهج إذا كنت تذكر أنه لولا حسن حظك لكنت أخذت إلى هناك .

ابتهج لأنك تستطيع أن تقرأ الجريدة اليومية وأنك لست مجبوراً على أن تسوق عربة قاذورات أو تتزوج من ثلاث نساء جميلات فى آن واحد .

إذا أخذت إلى زنزانة نقطة البوليس فقفز من الفرح ، واحمد الله أنها ليست حجرة الإعدام .

إذا ضربت بغصن شجرة فاحمد ربك على أنه غصن شجرة وليس سوطاً .

إذا كانت امرأتك تخونك ، فابتهج على أن الخيانة موجهة إليك أنت وليس إلى وطنك .

صبحى فائق السعيد

إدارة البلديات العامة – تموين

تقبل العطاءات بلدية أسوان لغاية ظهر ١٦ مارس ١٩٥٠ عن دهان أعمدة الشبكة الكهربائية ، وتطلب الشروط من بلدية أسوان نظير مائتى مليم بخلاف أجرة البريد .

٤٣٩٢

الكويت وحالة الشعر

للأستاذ أحمد طه السنوسي

.. من الشعراء من ينظم الشعر لذة نفسه وإسعاد روحه دون ما نظر إلى تداوله بين الناس ، ومن هذا الصنف معظم شعراء الكويت العربية ، فهم ينشدون الشعر للشعر نفسه حيناً ولنفوسهم أحياناً ، إذ يحبب الواحد منهم تدوين ديوان لأشعاره ، ثم هو بعد ذلك يودعه صندوقه لا يريد أن يطلع غيره عليه ، ولا يحاول أن يضيف به إلى الشهرة العربية مرة أو عشقاً ، فهو يهرع إليه في ظلمات الليل إذا ألم به أرق ، وهو يحتضنه ساعة فراغه إلى صدره ، ليبثه جديداً من الشعر والألحان ، أو ليردد ما في صفحاته من أنغام وأوزان .

وهناك من الأسباب ما حدا بالشعر الكويتي لأن يكسب هذا الحظ القليل من الشهرة والذيوع ولا غرو فإن الكويتي بحكم بيئته وفطرته والبوادي وإذا كانت لديه الملكة الشعرية أخذ من نظم الشعر هواية يتحلى بها ، وقيثارة يبثها لواعج نفسه إذا حزه الشوق إلى الحبيب أو رفرفت حوله الذكريات .. وهذا فريق من شعراء الكويت ، إذ يوجد أفراد على غير هذه الشاكلة . والذي حققته أن الكويتيين يعتبرون من كانت له هبة الشعر صفة التكسب الأصل قبل أن يعتبروه شاعراً ، ولعل الشاعر لا يحاول أن ينال أكثر من ذلك ، وكل هذا على عكس ما في مصر مثلاً ؛ فهنا يعرفون الأديب كما أن الصفة الأدبية تغلب على صفة العمل التكسبي في الأدباء ، فقد تسأل المصري مثلاً عن أديب معروف ، فلا يعرف عنه إلا أنه أديب ، أما وظيفته في ديوانه ، فهذا ما لا يعنى به وما لا يسعى إلى معرفته في أغلب الأحوال .

ومن هذا نستنتج ميزة جليلة من ميزات الشعر الكويتي ، فقد خلا من التكلف ، لأنه ليس المهنة الوحيدة للشعراء ، ولأنه هو الذي يدفعهم إلى نظمه في وقت فراغهم أو في فراغ ملابساتهم ، ولأنهم لا يفكرون فيمن عسى أن يستمع إليه أو يبحث فيه .

ويتعطش الشعب الكويتي لكل نتاج جديد من الشعر ، ولا يلاقي الشاعر الثاني كثيراً من التعب في سبيل الشهرة إذا كان شعره جيداً يستهوي الألباب .

والشعر الكويتي خير ما يعبر عن نفسية الكويتيين ، وهذه النفسية قد يستعصي فهمها على غيرهم ، لأن أعظم صفة يتصف بها الكويتي الجود والمروءة ، وهم في ذلك يشبهون إلى حد كبير الأعراب ، وبذلك فالشعر طريق مختصر لاحب لفهم تلك النفسية الفذة الغرائبة في عالم النفسيات ..

والشعر الكويتي خلو من السرقات ، وذلك لأن الكويتيين سائرون على طريقة الشعر الجاهلي ، فيسهل على الكويتي ملاحظة السرقة ووضع صاحبها في قفص الاتهام ، وبذلك يخشى كل شاعر أن يسطو على شعر سواه من الشعراء ، ثم إنه لم يتكسب بشعره إلا في النادر ، فلا حاجة به إلى السرقة .

ويمتاز الشعر في الكويت بأنه من خير الأشعار العربية الأخرى من حيث عدم التكرار ووضع كل كلمة ذات معنى خاص بها ، وهو بهذه الميزة أدنى الأشعار العربية إلى الشعر الجاهلي في هذا الصدد ، ولعل ما يجعل ذلك سائغاً وسهلاً أن الكويتيين يفهمون العربية ، بل ويستعملون في كلامهم بعض الكلمات الفصحى ضمن لهجتهم ، فصار من السهل عليهم أن يفهموا الأشعار ويرددوها بسهولة ويسر ..

والشعر الكويتي خير ما يمثل لك التطور منذ النشأة إلى الحاضر ، بل ويعدو بك إلى المستقبل ، كما يمثل لك الفكر ونضجه والتأثرات التي طرأت في ذلك الفكر ، ولو هيئت له الحرية التامة لرأيته صورة صريحة للنفس لا شية

فيها ولا حوشي بها ، وهـذه الصراحة هي ميزة من ميزات نفسية الشعب الكويتي .

ويستفيد الشعر في الكويت من كل نهضة حوله ، ويتلون حيث أثر فيه الجديد ، فهو أميل إلى التجديد دائماً ؛ وتلعب النهضة الأدبية في مصر دورها الخطير في هـذا التلون والاستفادة في الشعر الكويتي ، كما تلعب فيه النهضة الأدبية في العراق والمملكة السعودية وسوريا والبحرين ؛ ولعل الشعر في الكويت يفيد أهله في هذا الصدد أكثر مما يفيد الشعر في مصر والعراق مثلا ؛ ذلك لأن الشعر الكويتي يستفيد من النهضة التي تتألف في قطره ، وتزيده استفادته من النهضات العربية الحاضرة الإدة ليث ؛ ولبيان ذلك أقول : إن الشعر في مصر مثلاً لا يتأثر بنهضة الكويت أو البحرين أو الحجاز بقـدر ما يتأثر الشعر الكويتي بها وبالنهضة المصرية الأدبية ؛ وذلك لأن هذه النهضة الأدبية في مصر من المكانة والمتانة بحيث تلهي الشعر في مصر عن أن يتجه صوب الأقطار الأخرى ليتأثر منها إلا قليلاً ، كما أن الشعراء الكويتيين أكثر من سواهم اهتماماً بتتبع تلك النهضات العربية المجاورة وتعرفها بعناية بالغة ...

ومن عوامل رقي الشعر في الكويت انتشار الثقافة والعلم ذلك الانتشار الواسع وتعدد المدارس وملاقاة التشجيع والبيئة الخصبة لتلقي كل ما ينتجه الخيال لتحويله إلى الحقيقة ، وما تنتجه الحقيقة لتحويله إلى التطبيق العملي ، كما لا ننسى أن لسمو أمير الكويت اليد الطولى في تشجيع الشعر على النهضة والرقي ..

.. والأوزان والقافية ميزتان كثيراً ما نفقدها في الشعر العربي المعاصر ، وهما يظهران جلاء في الكويت ، بيد أن القافية أتت من الشعراء الذين اندمجوا في الحضارة والنهضة العربية الخارجة عن بلادهم ، فصدمهم الإعجاب بها الانفجار كالبركان ، كما لا ننسى أن هـذا الفريق الغالي أغلبه من جمهرة الشباب ، والشباب حيوية فيها بعض الطيش والاندفاع ، وفيها قوة وحرارة ، ولو تمعنا في الطيش والاندفاع والقوة والحرارة في شعر الشباب الكويتي ، لعرفنا أن الكويتي دائماً يكسب جملته شيئاً من الرزانة والتعقل ، برغم حرارة الشباب أن فيهما يصطرعان ولا يصرعان ، ومن ثنايا هذا الصراع نشأت السياسة الشعرية التوجيهية التي يقلب بها شعر الشباب الكويتي الدنيا رأساً على عقب ثم لا نستطيع أن نأخذ عليه مأخذاً ..

وللشبيبات مسرح منبسط لنتاج الشعر الكويتي ، فيها تشحذ الألسنة ويهبط الوحي وتتغنى الشفاه ، ومن الشعراء الكويتيين من يقتفي أثر شاعر مجيد ويدأب على منهاجه ، ومنهم من يعدل خطه ، ومنهم من يجدد ومنهم من يجنح إلى القديم ، ولو قورن الشعر في الكويت بشعر جزيرة العرب لكان له مكان مرموق ؛ ومع أن الكويت متصلة باللغة الهندية والفارسية وسواها من اللغات الأجنبية ، إلا أن ذلك لم يكن له أثر بين في الشعر هنالك ، ولكن أثره بدا جلياً في اللهجة الكويتية ، وبالتالي في الأدب الشعبي وإن كان ضئيلاً وقد ساعدت الفطرة شعراء الكويت كل المساعدة ، وإذا كان منذ أعوام طغى الشعر في الكويت على النثر من حيث المطالبات الوطنية بين الحلال والخطب الرنانة في المحافل فإنها تعالج شعرية من الغزل النبيل ، وقد اتخذ بعض الشبان الذين رزقت بهم الكويت فيما مضى من الشعر سبيلاً لحرب العقائد والمذاهب والمدارك ، مرتكنين على ما للشعر من أثر وتأثير في النفوس ..

والشعر الحديث في الكويت شعر يتربع من بين الأشعار العربية مركزاً سامياً ؛ فقد لفظ الأغراض التافهة ، وانخرط في سلك رائع تحوم حوله حمائم القوة وتستنفده ألسنة الشباب وترشفه أنداء الدنيا وتمده النهضة والنضج العقلي بروح الثورة وروح الحياة .

ولم يبد الشعر الكويتي كله جانحاً إلى نواحي القوة والحماس ، بل إن هنالك تحت سماء الكويت شعراء بؤساء ، أرضعهم البؤس لباناً ، وغذاهم الأنين بؤساً ، فسكبوا الدمع الهتون ، وباحت صدورهم بأحاسيس الشقاء ، واندلعت ألسنتهم وقد أحرقها جدار الفاقة لتقول شعراً دامعاً (سائلين) البؤس شفة الجراح ...

.. ولم تكن في مؤلف نشأة الشعر الكويتي وسائل

حديثة الذيوع والانتشار والانتقاد ، فكان يدلف على الطريق الذي رسمته الشاعرية العربية في الجاهلية عن طريق الرواة وغيرهم ، حتى قيض الله للكويت تلك النخبة الكريمة التي ألفت (النادي الأدبي الكويتي) منذ سنوات ليست بالكثيرة ، يحتشد فيه نوابغ الشعراء والأدباء والعلماء ليلقوا المحاضرات وليشربوا بأناشيدهم وشعرهم على أوتار القلوب ، فتهتز من ثمل ، وتتحول الأبصار في أنحاء النادي تبحث عن حملة الثمل ، فإذا بها في الألسنة المشحوذة والشفاه البلاغية تتفتح وتنطبق على خمر تستلذ منها الآذان عن طريق السماع لا التقبيل ...

وفاحت من النادي الأدبي هذه النفحات ردحاً من الزمن ، ثم انقضى ليلجأ لسواه من الوسائل سبيل البدو إلى معترك الحياة ، وتكونت على أنقاضه (الديوانيات) أي (الصالونات) ، وفي كل ديوانية منها يجتمع فريق من الأدباء والشعراء ليتدارسوا كتب الأدب وليتغنوا بالغريد شعرهم ، فيتناشدونها وتسري مسرى البرق في أوساط الكويت ..

والملحوظ أن النهضة والحركة الفكرية حينما تطرقت إلى الحياة الكويتية سرعان ما تغلغلت في أعماق الشعر الكويتي ، والتبيان ذلك تحليل المسائل .. فقد هاجر آل الصباح من موطنهم حتى استوطنوا الكويت ونعموا بها ووجدوا فيها دفء السعادة والاستقرار ، فاطمأنت نفوسهم بتلك النعمة والفرحة وألفوا أنفسهم يتنسمون الحرية ، فانتقلوا بذلك من حياة إلى حياة ومن مسئولية إلى مسئولية ، وانطبعت النفوس الكويتية بطابع التشوق للانتقال من الخمول إلى النشاط ومن الموت إلى الحياة في لحظات سريعة ؛ وذلك لأن هذا الانقلاب الذي ذكرته في حياتهم لم يستلب من الأيام دهوراً عديدة ، وإنما كلفه الأعوام القليلة ..

أحمد طه السنوسي

لجنة التأليف والترجمة والنشر

الإمبراطورية البيزنطية

تأليف : نورمان بينز

مع فصلين في تاريخ الدولة البيزنطية لشارل ديل ، وفصل عن علاقة الإسلام ببيزنطة لفازيليف ، وثبت بأسماء الأباطرة الرومان الشرقيين لستيفن رونسيمان

تعريب

الدكتور حسين مؤنس	و	الأستاذ محمود يوسف زايد
بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول		المدرس بالمدارس الثانوية بفلسطين

وهذا الكتاب يصف الدولة البيزنطية وأحوالها من زوايا ذات شأن أساسي في بناء التاريخ الإسلامي نفسه ، ويعين الباحث في تحليل مراحل المد والجزر في تاريخ الدولة الإسلامية على فهم كثير من هاتين الظاهرتين ، وهو الأول في موضوعه في المكتبة العربية الحديثة . كما أنه الأول في سلسلة من الكتب والبحوث الخاصة بالعصور الوسطى في الشرق والغرب

ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ومن المكتبات الشهيرة ، وثمنه ٣٦ قرشاً صاغاً عدا أجرة البريد

نقد الكتب



حولية الثقافة العربية

السنة الأولى (١٩٤٨ — ١٩٤٩)

أصدرت الإدارة الثقافية (حولية الثقافة العربية — السنة الأولى ٤٨ — ١٩٤٩) ، وهي من وضع وتصنيف سعادة العلامة الأستاذ ساطع الحصري بك ، مستشار الإدارة . ولاشك في أن هذا العمل هو الأول من نوعه في مضمار الثقافة العربية العصرية ، ويعتبر بحق كما قال الأستاذ المؤلف في مقدمته (افتتاحاً لسلسلة الحوليات التي ستنشرها الإدارة الثقافية لجامعة العربية عن شئون الثقافة العربية كل عام) . ويقع الكتاب في ٦٢٣ صفحة من القطع المتوسط وينقسم إلى قسمين — الأول في المعاهد التعليمية ، والثاني في المعاهد الثقافية الأخرى .

وقد بدأ القسم الأول باستعراض الرئيسي النظم والمناهج الثقافية في الأقطار العربية قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها ، وهذا العرض التاريخي ذو أهمية بالغة في شرح التطور التاريخي للمناهج الدراسية في العالم العربي . وعقدت الحولية بعد ذلك مقارنات عامة ، تناولت مدة الدراسة الابتدائية والثانوية ، وأقسام المدارس الثانوية وفروعها ، وساعات الدراسة الأسبوعية ، ومناهج الدراسة الابتدائية والثانوية ، ومناهج معاهد التعليم العالي ومعاهد إعداد المعلمين والمعلمات ولغة التعليم في مختلف المدارس ، والتعليم المختلط ، والطلاب العرب في مختلف الأقطار العربية .

وتناولت الحولية في الفصول التالية شرح مختلف مظاهر الحياة الثقافية في كل دولة من الدول العربية التالية : المملكة الأردنية الهاشمية ، الجمهورية السورية ، المملكة العراقية ، الجمهورية اللبنانية ، المملكة المصرية ، مبتدأة بخلاصة إحصائية عن السنة الدراسية ٤٧ — ١٩٤٨ لكل منها ، وموردة نبذة تاريخية وإحصاءات التطور الثقافي ، ثم متحدثة من الأحكام التشريعية والنظم الإدارية ، ومحصية المعاهد التعليمية ، من مدارس أولية وابتدائية وثانوية وخاصة وعالية وجامعية وشعبية الخ ...

وأما عن القسم الثاني فقد تناول الحديث عن المؤسسات العلمية والثقافية ، مثل الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، والمجامع العربية في دمشق وبغداد والقاهرة ، والمؤتمرات العربية ودور الكتب . والحولية تذيل التشتمل على إحصاءات التعليم عن السنة الدراسية ٤٨ — ١٩٤٩ في الأقطار العربية .

ولا مشاحة في أن هذه الحولية تعتبر مرجعاً هاماً للباحثين والدارسين والمهتمين بتطور الشئون الثقافية والعلمية في البلاد العربية . ولقد تولت الإدارة الثقافية أمر توزيع نسخها على وزارات المعارف والجامعات والمكتبات العامة ومكتبات المعاهد العليا والمدارس الثانوية في الأقطار العربية المختلفة ، كما وزعت منها نسخاً على الصحف العربية والهيئات الدبلوماسية والقنصلية العربية في مختلف الأقطار والمؤسسات الثقافية من نواد وجمعيات في البلاد الغربية وخصوصاً الأمريكية .

وفضلاً عن ذلك ، فإن الإدارة الثقافية معتزمة عرض عدد من نسخ هذه الحولية للبيع لمن يشاء من المهتمين بشئون الثقافة وطلاب المعرفة ، كما أنها ترحب بمن يشاء من الباحثين الذين يرغبون في الاطلاع على النسخ المعروضة لزائرين بمبنى الإدارة .

نشر مخطوطة تاريخ الموصل

علمت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية أن المجمع العلمي العراقي ببغداد قرر نشر مخطوطة تاريخ الموصل لابن زكريا بن محمد المعروف بابن إياس الأزدي ، وقد باشر فعلاً بإعداد المسودات للطبع ، وهذا الكتاب من الكتب القيمة التي تظهر نواحي مفيدة من تاريخ مدينة الموصل تلك المدينة التي كان لها شأن ثقافي وسياسي مهم .



ماين شاتز

الأستاذ أحمد بحران

ماين شاتز ، عنوان هذا الرسم . هذه رسوم الغلاف للكتب التي ألفتها . التي هناك أنت تذكره . ورقنا هذا أيضاً . أما الذي تنظر إليه فله شأن عجيب ، إنه لم يتم كما ترى . إن وراءه قصة .

قابلتها في باريس ، وكنت أسكن في مونبارناس ذلك الشتاء ، أضع كتاباً ، وتعودت أن أعمل طوال اليوم في ساعات محددة ، من التاسعة إلى السابعة ، وتناول عشائي في هدوء ، وآوي إلى فراشي ... مرة في الأسبوع للرقص ، ولما ... النظام .

وكنت أتعشى دائماً في نفس المكان « دومينيك » و « القبة » ، وكان في ذلك الحين أنيقاً ولا هو جامس (لقد فسد الآن ، أعيد بناؤه ، وصار كبيراً) . وتعودت أن آكل وأمامي جريدة أو كتاب ، لكني أحياناً كنت أتعب من القراءة ، فأراقب الناس . وهكذا عرفت كل المترددات على المطعم . كانت دائماً مع نفس الرجل ، كان بورجوازياً في منتصف العمر ثقيل الجسم ، أما هي فصغيرة كعصفور الحناء ، وشعرها بني ولها وجه مستدير وذقن صغير مدبب ، وفم صغير ثقيل مصبوغ في مثلثات ثلاثة ، اثنين صغيرين للشفة العليا وواحد كبير للسفلى .

ولم يكن حضورهما معاً ، ومن الجلي أنه اتفاق ، حرصاً على أن يكون سراً ، ومن الجلي أيضاً أنهما جداً يشعران بالملل ، فعندما كان يتحدث تنقر هي بأصابعها على المائدة ، وأحياناً تدع نظرتها تطوف حول القاعة حتى تلتقي بنظراتي فتلتقي أنظارنا برهة ، ثم تدير نظرها مرة أخرى ولا تزيد عن ذلك ، فقد كان لدي عملي ، ولم أكن لأسمح لشيء بأن يعوقني عنه .

ومضت الأسابيع ، وكنت دائماً أراها في العشاء ، والآن حين تلتقي أنظارنا يتلألأ شبح ابتسامة على مثلثات شفتيها ... دون أن يلاحظ الرجل شيئاً ، وفي الأمسيات التي لا ... أفتقدها ، أفتقد نظاتي معها ، فقد كنت وحيداً أعمل طول اليوم ولا أرى أحداً .

* * *

وذات ليلة حين أخذت قلمي وأوراقي بعد الكتاب ومضيت آكل أثناء الطعام ، كانت الفتاة وحدها ، وفي تلك الليلة لم أقع بطرفي على نظرتها ، وفي الليلة التالية كانت وحدها أيضاً ، وكان الجو بارداً وهي ترتدي معطفاً من الفراء الرخيص ، وكان من الواضح أنها لا تنتظر الرجل ، وبرغم أنها كانت شاعرة باهتمامي بها لم تسمح بأن تقع عيني على عينيها ، وفي طريقي إلى الباب مررت قرب مائدتها فنظرت إليّ ، وأمسكت الكرسي الذي أمامها وقلت : « هل تسمحين لي ؟ » فقطبت وجهها ، ولكني جلست .

كانت تحيك بعض أزهار من اللآلئ ، حبات بلورية منظومة في سلك ، وكانت حلية رخيصة جارية منتشرة في باريس ذلك الشتاء .

يذكر الإنسان جيداً أول مقابلة له مع امرأة ، وآخر

مقالة ، وربما واحدة أو اثنين ما بين ذلك . ولى تذكرى لماين شاز أرى هذه الأزهار من اللآلئ . ومازلت أستطيع إذا ما أغمضت عينى أن أتمثل فى خيالى رقتها وهى تقلبها فى يديها الصغيرتين البضتين ، وتحدثت مترددة فى لغة فرنسية سقيمة تشوبها لكنة وسط أوربا ، وكانت وهى تتحدث تقلب هذه الحلية ، وكانت جديدة ولكنها لا تقدرها ، وربما كانت هدية الرجل الأخيرة ، وما زالت تلوى الأزهار حتى كسر السلك وتساقطت حبات اللؤلؤ على المائدة ، جمعتها فى كوم ومضت تعبث بزهرة أخرى .

وكانت من فيينا — هكذا أخبرتنى — وتدرس الرسم فى باريس تحت إشراف لوت ، وناقشنا فى نظريات مذهبه ، فقلت إنه من الخطأ أن تعمل فى مرسمه وقتاً طويلاً ، فقد كان تلاميذه دائماً معروفين باستخدام التركيز والتكثيف . واستمعت فى جد مدة كافية ثم اعتدلت فى جلستها :

— ما هى معلوماتك فى الفن ؟

— إنى أرسم ... أحياناً .

— ظننتك كاتباً .. فأنت دائماً تقرأ .

— إنى أكتب فإذا لم أستطع رسمت .

فأدارت زهرة الجواهر وقالت :

— أنا أرسم فإن لم أستطع أحببت .

— هذا شىء جميل .

وكسرت زهرة أخرى وتساقطت حبات على المائدة وقالت : إنى أحب .. هل ستحب بعضنا .

وكان مرفقى بجانب مرفقها : « وماذا تظنين أنت ؟ » .

— لا أستطيع أن أعرف بعد .

— هل تتمنين ذلك ؟ .

فنظرت إلى فجأة ، وكانت عيناها البنيتان مرحتين وبدأت تضحك ، وكان من الظاهر أنها لا تتجاوز الثالثة والعشرين أو الرابعة والعشرين ، وتحدثنا ، ولم تكن تستطيع تحمل الجد طويلاً ... وظهر التأفف على خدم المطعم ، وكان حقاً أن نطلب شيئاً آخر أو ننصرف !

على المائدة وسط الفتات كانت مجموعة من الحبات ، بقايا غصن من اللآلئ وأزهار .. ذلك فى ذاكرتى أول منظر من قصة ماين شاز .

●●●

لقد صممت ألا أدع شيئاً يحول بينى وبين عملى فى ذلك الربيع ، ولكنها فعلت بالطبع ! وقررت أن أكون قوياً ولكنى ضعفت .

— ألا تأتى معى نمر على واجهات المتاجر فى شارع لابوتيه هذا الصباح ؟ .

— ليس هناك ما يستحق أن تراه .

— إذاً تعال تمشى .

— إن على أن أكتب .

— الأيام الأولى للحب الجديد جميلة ، جميلة جداً .

— ذلك ما أعتقده .

— ومن السخف أن تضيع الوقت داخل الأبواب والشمس مشرقة ..

— إن لدى عملاً يجب أن أؤديه .

— أعرف ذلك ، لكن فى النهاية يجب أن تضحى .. ستجد وقتاً طويلاً لكتاباتك السخيفة فيما بعد .

— إنك لا تهتمين برسومك على ما يبدو .

— إنك لا تهتم بى . هذا كل ما فى الأمر .

كانت فى الحجرة الصغيرة التى تتخذها مرسماً وقد أتيت لأبحث عن السترة التى تركتها فى الليلة السابقة ، وكان فى الحجرة منضدة ، ومشجب ، ولوحة رسم ، وكوم من أدوات الرسم ، وثلاثة كراسى ، ونحن . لو دخل شخص آخر لضاقت به الحجرة .

— إنك لا تهتم بى .

لم أكن لأتقبل التهديد ، ووقفت واضعاً يدى فى جيوب معطفى .

— لم أدع يوماً عكس ذلك .

— وهذا مؤلم ... يجب أن تتظاهر قليلاً بحبى .. وإلا كان الأمر سيئاً .

ولكنى لم أعترف بأنى أهتم بها : « هذا شىء يهمله بعض النساء ، فليس عندهن سواء . إن لدى كتاباً أكتبه » .

— أهى الكتابة إلى هذا الحد ؟

— نعم .

وكنت واقفاً ، متصلباً ، غاضباً ، وخيل إلى أنى شخصية خيالية ، كنت مصمماً على أن آخذ السترة وأن أعود إلى حجرتى وأكتب .

قالت : إلى هذا الحد ؟ وكانت جالسة على كرسي ثم زحفت إلى كنبة ، وكانت صغيرة وخلعها بمقابل مرفق ، وأحنت دون أن أبين : « نعم » . جلست لحظة على طرف المنضدة واستمعت دقيقة على يديها . كان وجهها مستديراً بائساً وقالت : « إني حزينة ... حزينة جداً » .

— لأنك لم تنالي ما تبتغيه !

— كلا ليس لهذا السبب .

— لم إذاً ؟

وأخرجت يدي من جيبي ... لقد بدأت ألين .

— دائماً يحدث ذلك لي ، الرجل دائماً لا يهتم . وأنت ! إنك لا تكلف نفسك حتى عناء التظاهر بحبي .. كنت أظن الأمر مختلفاً في هذه المرة . أنت أفضل من الآخرين . آه لو اهتممت بي . إن الحياة لقبيحة إذا أحببت هذا ثم هذا ثم ذاك ... إن الفتيات اللائي نشأن معي قد تزوجن زواجاً محترماً .. ولكني هاأنذا .

— كنت تستطيعين الزواج على ما أظن .

أردت أن أعود إلى كتابتي فسكت قليلاً .

— ظننت أني أختار حياة أكثر غنى ... من العادية جداً . إني لا أعني كثيراً بالفن ... إنها حياة الفنانين التي أردتها ... لقد سمعت عنها كثيراً في جراتز (تلك كانت المرة الأولى التي علمت فيها أن توفقا أتيا من تلك الدعاء) .. ولقد رأيت أنك ما أردته .. ليس فيه أي نفع .

كانت تنظر إليّ ، وأصابعها تتحرك على خديها المستديرين

— أريد أن أكون معك .. إني متحمسة بالعمل ، واليوم أريد أن أركض معك .. أريد أن أحلق بجوانحك .. وأمشي معك في الشمس . كيف يستطيع الإنسان أن يقاوم مثل هذا الشيء .

تحركت إلى الجانب الآخر من الغرفة إلى الكرسي الكسيح . كنت قد بدأت أضعف ، وبالطبع عرفت أني أضعف ، فقفزت ووضعت يدها داخل معطفي وأخرجت قلمي من جيب بذلتي : « سأحتفظ إلى الخارج ؟ »

كانت تعلم أنها انتصرت . وتركت مسوداتي على الكرسي الأعرج وانتظرت حتى أحضرت قبعتها وتركتها تمسك بذراعي لتوقفني ... ونعست . وكان قلمي الذي أخذته موضوعاً مع المسودات على الكرسي إلى جانب الموقد .

وفي تلك المساء ، بعد العشاء حيث عدت لآخذه ، كان ملقى على الأرض — ولا أدري كيف — محطماً وقد انسكب منه الحبر . وما زلت أستطيع أن أرى قطع القلم المحطم على الأرض تحوطها بقع الحبر الجاف ...

وهذه الصورة منظر آخر من قصة مارين شاتز .

***

أحرقت شمعتها من الناحيتين ، وكانت هذه مأساتها . كانت تريد أن ترقص طول الليل ، وتريد أن ترسم في معهد لوت ، أو في مرسمها الصغير من العاشرة إلى الخامسة ، ولو كانت تنام بعد ذلك لهان الأمر ، ولكن كان هذا هو الوقت الذي أكون فيه بلا عمل ، وكانت تريد أن تكون معي فلم تكن تستطيع أن تنام إلا قليلاً ، ولم تكن تنال كفايتها من الطعام ، كان يأتيها بعض المال من عمة في جراتز ، لكنه لا يكاد يفي بأجر حجرة نومها ومرسمها وثمن الأصباغ التي تتطلب مالاً حتى في باريس ، والملابس التي لا تستطيع شراءها . كانت تلفقا لها ، وكانت تغسل ثيابها بنفسها في دلو ، وكانت تتغذى بالخبز الجاف والقهوة ، وتمشي معي وتنسى أحياناً أن تفطر . ولو كانت فتاة أقل حيوية منها لأصابها ... ، كانت تتمتع بثروة كامنة تعيش عليها ، وفي النهاية استنفدتها حتى لم يبق منها شيء .

***

قضينا عطلتنا معاً ذلك الصيف في قرية على شاطئ نهر مدوزي ، وكنت أقضي الوقت في صيد السمك ، وتجلس هي على الشاطئ ورأسها بين يديها تراقبني . وكان الجو حاراً ، وبعد الظهر كنا نستلقي في الظل جنباً إلى جنب ، وكنا سعداء ، ولا شيء يعكر صفو هدوئنا . وأحياناً كانت ترسم في كسل ، وأحياناً كنا نتحدث عن الكتاب الذي سأصنعه عنها ، كانت تقول إني لن أكتبه يوماً ، وأقول لها إني سأفعل . وتقول إنها ستصنع رسماً لغلافه ، وأقول إنها أكسل من أن تفعل ، برغم أنه لا يأخذ منها إلا عمل ساعة . وكنت أرغب في قضاء الصيف كله هناك إلى أكتوبر ، لكنها في منتصف أغسطس بدأت تسأم السكون وتحن إلى الصخب والرقص والموسيقى ، وأرغمتني على أن نرحل إلى بياريتز ، وكان المستوى هناك عالياً ، وكنت أصرف أكثر مما يجب ، ولا أكتب شيئاً ، فأحسست أنها مضيعة للوقت

والليلة .. فكنت دائماً أقول إنني لن أخرج الليلة ، إذا ما فرغنا من عشائنا في المطعم الذي أقوى على تكاليفه ؟ فإذا ما ألحفت في الرجاء تشبثت برأيي وضممت ذراعي في عبوس .

***

وأحسسنا بالنهاية تقترب ، وكنا خائفين ، وذات ليلة ما زلت أذكر تجوالنا على الشاطئ ، ثم جلسنا على الصخور وسألتني : « أما زلت تحبني ؟ » قلت : « نعم » .

— أحقاً ؟

— نعم حقاً .

— أما بدأت تسأمني ؟

فطوقتها بذراعي فسكتت قليلاً ثم قالت :

— إنه لا يدوم إلى الأبد .. هذا هو الحزن .. ولا أريد أن أبقيك إذا أردت مفارقتي . إن البقاء بعد زوال الحب هو الذي يجعله بغيضاً . عدني بأن تخبرني ساعة السأم .

وانحنيت لأحول وجهي إلى جانب وجهها وتحدثنا في موضوع آخر . لكنها قالت :

— أريد بعض الأوراق ، فمزقت لها أوراقاً من كراسي وصنعت منها قاربين فقالت :

— الآن نحملهما في الماء جنباً إلى جنب ، أنت تأخذ هذا وأنا آخذ الثاني ، لا ندفعهما بالأصابع ، ندعهما يحددان بهما القدر ، والآن دعهما .. ونستطيع أن نرى أيهما يفارق الآخر ... ووقفنا نرقبهما وأصابعنا متعانقة ، وسبح القاربان ، وكانت الليلة هادئة مقمرة ، واضطربا قليلاً ثم دفعت موجة بقاربي قدماً يمضي بعيداً . قالت .. أترى .. إنه قاربك ، ذلك يعني أنك ستفارقني ..

قلت لها : إن هذا عبث ، لكنها أصرت على قولها ، وأمسكتها بقوة كأنما لا شيء يقوى على أن يأخذها مني ، وكان فمها الصغير شهياً .

وبعد فترة طويلة حين أعدنا النظر كان قاربي قد غاب عن ناظرينا ...

وفي تذكري لابن شانز ، أرى صورة قاربين صنعا من أوراق كراسي يسبحان جنباً إلى جنب ثم يتباعدان ... ذلك منظر آخر من قصة تلك الأيام .

***

ولكني أحسست الملل وأردت أن أنظر إلى نفسي لأتم كتابي ، والتقت هي رجلاً صارت تمشي معه على الشاطئ ، فلما علمت بذلك ثرت فقالت : « ولكنك لا تحبني » .

— إذا ما سرت في هذا الطريق .

— كنت أعلم أنك ستسأمني . هكذا كنت أقول دائماً .

— إنني لم أسأمك ولكن لدي عملاً يجب أن أؤديه .

— إنك دائماً غضبان علي .

— لأنك لا تحسنين السلوك .

وفي ذلك المساء على مائدة العشاء لم نتحادث ، وانهمكت في قصتي ، وبعد أن تناولت القهوة تمشيت قليلاً وحدي ، ثم أويت إلى مخدعي .

وفي الصباح التالي بينما كنت أتناول إفطاري بجانب النافذة المفتوحة جاءت إلي واتكأت على حاجز النافذة وتنفست نفساً عميقاً وقالت : « اسمع إلي ... لقد خنتك في الليلة الماضية ، لقد رأيت أنك يجب أن تعلم » .

فصرخت قائلاً : ماذا تقصدين ؟

قالت وهي تنصرف مسرعة : لا شيء إلا ما قلت لك .

و[illegible] ومضيت إلى الطريق وكنت أغلي غضباً ، وصممت أن أسافر وأخلي لها الطريق ، ولست أعبأ إن مت من الجرح ، ولكني أحضرتها من باريس ولا بد أن أرى أنها تستطيع العودة ، فاشتريت تذكرة وتركتها لها مع بضع مئات من الفرنكات في ظرف وحزمت أمتعتي ودفعت حسابي ومضيت .

***

ستة أعوام مضت لم أسمع عنها شيئاً ، ثم أرسلت إلي من سويسرا ، لقد كانت تحرق الشمعة من طرفيها مدة طويلة فاستنفدتها ، وكانت تستشفي وتستفيد من العلاج ، وقالت إنها ترجو أن يتم شفاؤها قريباً ، وأن أكون قد بدأت كتابة القصة عنها ، وتأمل أن ترسم الغلاف لها حالما تسترد صحتها . وأجبت : إنني لم أبدأ كتابة القصة وتمنيت لها الشفاء ...

وبعد عامين كتبت إلي ، من شتوتجارت هذه المرة :

« يا عزيزي ، أنا أقطن الحجرة رقم ٢١٣ في هذا المستشفى ، وهي صغيرة كحجرتي في باريس ، لكنها نظيفة ،

الشتاء

هاهنا في هذه الغرفة في هذا المساء
في جوار الموقد المهتاج وهاج الضياء
والفراش الدافئ المشتاق من خز الغطاء
واللهيب الصارخ الظمآن يسرى في دمائي
سوف تلقى ثورة الحب وإعصار الشتاء

***

آه من عينيك من صمتك من هذا الحياء
من شباب حل في خديك مشبوب النداء
من قوام رائع الطلعة فتان الرواء
أين منك الآن يا حسناء وصف الشعراء
فتنة أنت لأهل الأرض من أهل السماء

***

إن يكن في خارج الغرفة برد ورياح
وللدوح الخضر والشطآن غشاها النواح
في السما غضبة جبار وفي الأرض جراح
لم يعد يصدح عصفور [illegible]
فهنا أنت .. ومن أنت ؟ من [illegible]

***

ما علينا إن طغى الليل وماجت ظلماته
وانزوى العصفور في العش وغابت نظراته
لحنه رعشة مقرور تهاوت نبراته
أخرسته ثورة الريح فجفت نغماته
ما علينا والصبا ملك يدينا رغباته

***

ما علينا إن طغى الموج على الموج جبالا
ورأى الملاح في اليم من الموت ظلالا
حارت الدفة في كفيه يأساً وضلالا
الرياح الهوج لفته يميناً وشمالا
والغيوم السود غطته فما أبصر مجالا

***

ما علينا إن توارى البدر في السحب وغابا
وتولت أنجم الليل فراراً واحتجابا
واستحالت هذه الدنيا ظلاماً وضبابا
فلتكن ليلة هول لم تدع للصبح بابا
نحن أسعدنا لذة الحب وفاء والشبابا

***

نحن روحان طليقان تآلفنا حنانا
[illegible] دنيانا والرضى ملء تهانا
ما علينا [illegible]سعد العالم أم لاقى الهوانا
هذه الغرفة دنيانا مكاناً وزمانا
لم يعد في هذه الدنيا من الناس سوانا

(اسكندرية)　　　　عبد العليم محمد الباقي

نظيفة جداً ، لا غبار ولا صور ولا ألوان .

« إني مقبلة على الموت ، ويقولون إنه قد بقيت لي أربعة أيام أو خمسة ، وأريد أن أرسم غلاف الكتاب الذي ستكتبه عني فسيكون ذكراي الوحيدة ، ولكنهم لا يسمحون لي بذلك ، ولكني أقول إنه ما دام الموت مني قريباً فإن ذلك لا يغير من الأمر شيئاً .

« إليك حبي » .　　　　(شاز)

وأرقت إليها .. إني كنت أود أن أحضر لرؤيتها لولا أنني لا أستطيع ، وبعد عشرة أيام جاءتني لفافة عليها خاتم المستشفى ، وداخلها كتاب من إدارته .. إنها لم تتم الغلاف قبل موتها ، لكنها طلبت أن يرسل إلي ، وكان هناك أيضاً خطاب منها .

« يا عزيزي : إني ذاهبة ، لكني أريد أن أقول لك شيئاً ... لم أحبك في تلك الليلة في باريس .. إنك الرجل الوحيد الذي لم أحبه قط ... لكني رأيت أنك قد تعبت مني وأردت أن أكون البادئة بالانفصال لا أنت .

« صدقني . فليس هناك من سبب يدعوني أن أكتب إليك هنا لو لم يكن ذلك حقاً .

« اذكرني في بعض الأحيان »　　　　(شاز)

هذا الكتاب هو الفصل الأخير من القصة ، إنه هناك في أحد الأدراج .

وهناك على الجدار .. الرسم .. الرسم الذي لم تتمه .. الكتاب الذي لم أكتبه : مابين شاز .

أحمد عبد الله

من ديوان خفقات قلب :

الشتاء

نشر الشتاء في الطبيعة
سجفاً من السحب المنيعة
سوداء حالكة الجبـ
ين ... كأنها ليل القطيعة
أو قلب مقترف الذنو
ب يرى الخداع له شريعة
يبكي .. بمقلة نادم
سحّت مآقيه .. دموعه

• • •

صحو يخرقها الشتا
ء ... كسارق .. يرى قطيعه
ضرب النقاب على الفضا
ء ... فضلّ ما نرى طلوعه
أين « الغزالة » ؟ إنها
طويت أشعتها البديعة
تبدو ونجمها الغما
م — كغادة الخدر — الوديعة
هجرت له الأفق الرحيـ
ب — غداة قد لفت جموعه
تخشى من القمر الذي
أشق — يقسمه — الطبيعه

• • •

في كل يوم .. نلتقي
خبر الذبيح ... أو الذبيحه
متسمعين .. لسمعه
يبدو لنا .. منه .. حقيقه
لكن أخبار الإذا
عة .. في مسامعنا — مريعه
يا ويحه .. من زائر
شتّى أطال .. بنا .. هجوعه

(القاهرة) كيبوك حسين سند

يا دموعي

يا دموعي طهري روحي فإني قد أثمت
وأرسلي ذلك الرجس حنانيك ندمت
ذكتني ذلي وهماً ... وفي الأوهام همت
يا دموعي ... رحمة الله دموع ... أنا تبت
فاغسليني .. ودعيني طاهراً أني ذهبت

يا دموعي التي بعثت من نار العذاب
بشرب الآلام والآهات في كأس الشباب
قل إذا هو شكا الحزن بأنغام اكتئاب
.. أنا أنكرت وجودي ... أنا حطمت شبابي
كيف أني الله موجه ولا يعلم ما بي !!

يا دموعي قلبي الغض تهاوى من ضلوعي
أين ألقاه أنيري لي طريقي يا دموعي
لا تكوني آفة العين فأعمى .. أطلقيني
أنا إن أعمت أبصرت ... بأعصاب الصريع !
[illegible] الدمع فيفنى كالشموع

[illegible] مذرّوة بإعصار الرياح
وأرواح البائسين صار البشر في عين نواح
آه يا نفس من الآلام والهم الملح
أظلم الليل ... فمن يأتي بأضواء الصباح
كم من الناس طوتهم ظلمة .. ما من براح !!

كم من الناس يرى الدنيا بعين تائه
وبشم حين يبدو البشر روح الحاقد
سمعته الحادثات الشاردات الحائرة
فإذا الأيام رغم الشمس حالكة مظلمة
وإذا الدمع شراب وطعام يطعمه

أنا ذاك البائس المكلوم يا وجع شعوري
أرسل الآهات من قلبي وروحي وضميري
وسيل الدمع من عيني لآلام الصغير
فأجازى — بئس ما أجزى — جفاء من كبير
وأراني كضمير الغيب ... مجهول المصير

عبد الخالق الشهاوي

الناس ...

هم الناس لا أرض بغرس وزنبق
ولكنهم نبت بشوك وعــلق

هم الناس لا ينبوع خير ورحمة
ولكنهم نار تهب وتحرق

هم الناس لا بحر يرف وإنما
ظلام على قلب الطبيعة مطبق

ظننت بهم خيراً فأثبت نحوهم
يخف بآمالي شراع محلق ،

وفي أرغني لم نشيد معطر
وفي خاطري عنهم مقال منمق

ولما تصافحنا غداة التقائنا
تمنيت دهراً أن يجيء التفرق

لقد روعتني منهم ألف ضحكة
ملونة كالموت أو هي أحمق .

وكف عليها يلتوي ألف عقرب
وناب كناب [illegible] أو أزرق

ووجه يكاد المرء يقرأ فوقه
سطوراً معانيها الخداع المزوق

ولمحت في الناس الذين لقيتهم
خلائق بالإيمان لم يتخلقوا

وأبصرت فيهم شاعراً متملقاً
على سكب ماء الوجه يحيا ويرزق

وأبصرت فيهم كاتباً متلوناً
له كل يوم قبلة تتملق ...

وأبصرت فيهم قائداً متكبراً
إذا قال لا يرضيه في الكون منطق

وأبصرت فيهم طاغياً متمرداً
يعيش بدماء الشعب لا يترفق

وأبصرت فيهم جاهلاً رغم علمه
سواء لديه غامض ومشقشق

وأخون من لاقيت فيهم صديقهم
وأخونهم ذاك الصديق المصدق

وأقبح من أبصرت فيهم جميلهم
وأقبحهم عندي الفتى المتأنق

فمن كان يرجو الخير منهم فإنني
كفرت بهم أني أساءوا وأحرقوا

وآمنت أن الطين طين وإن سما
به قدر نحو السماء محلق ...

وآمنت أن الحق أكذوبة الورى
وأن المثاليات وهم مزوق

وأن الفضائل التي يزعمونها
على جسد الدنيا رداء ممزق ،

وأن معاني الطهر أحلام شاعر
وما ثم إلا مأثم يتدفق ...

وأن محاريب المصلين مطمع
وصومعة الرهبان فخ معلق

وأن [illegible]ا وكل محبة
لهم غير ألفاظ تلاك وتبصق

فلا تحسبن الكون إلا رواية
يمثلها خلق غبي وأحمق

ولا تسمع إلا الشر منهم فإنهم
أراقط تؤذي أو ثعالب تسرق

وكن كأخيك الليث في الغاب سيداً
فما للضعيف الرخو في الأرض منطق

(الإسكندرية) محمد مفتاح الفيتوري



[illegible]